كِتَابُ مُخْتَصَرٌ وَجَامِعٌ لأَحْوَالِ مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ
وَمَا يَخُصُّ حُجَّاجَ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ

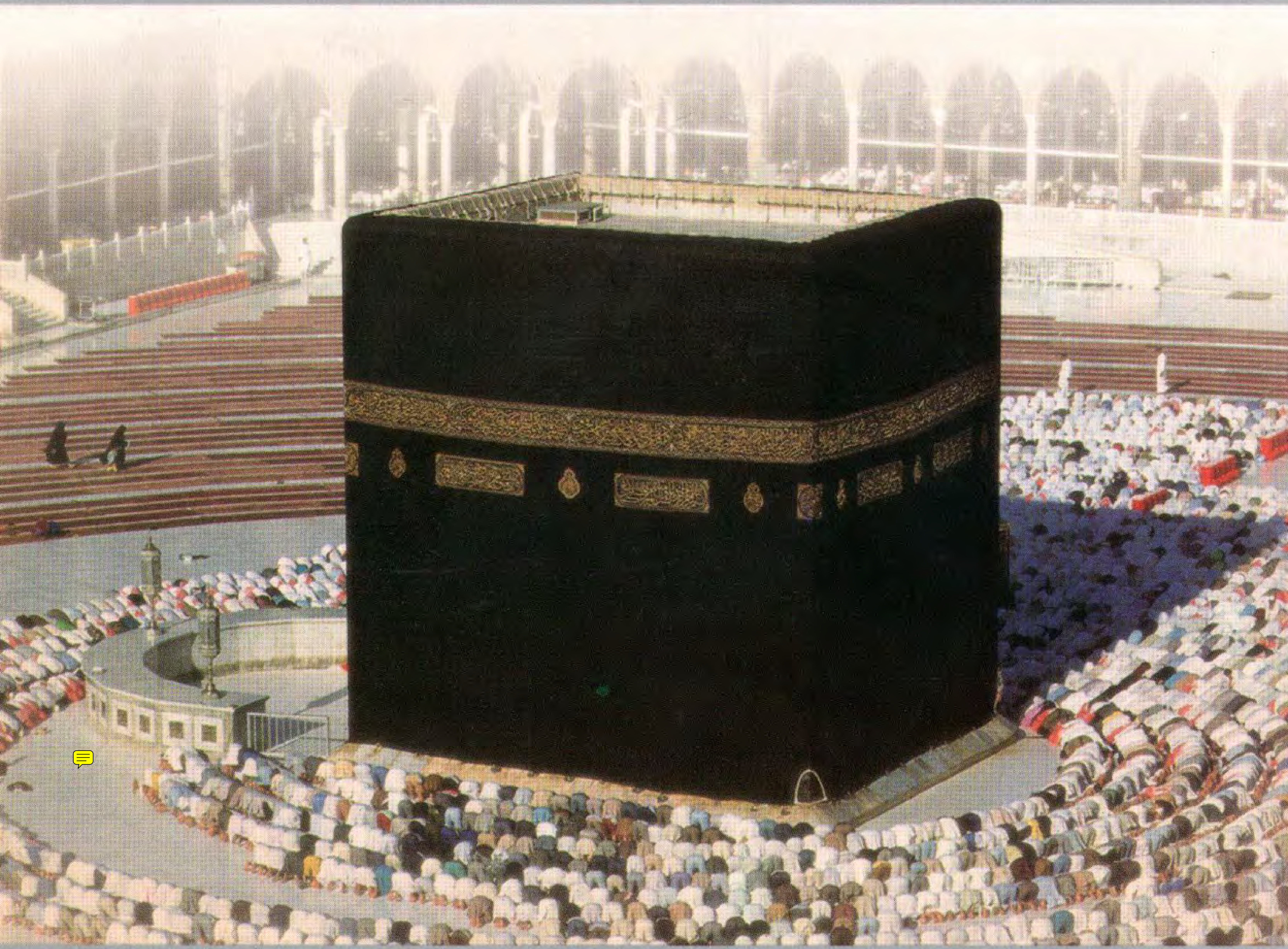

تاريخ
مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ

إعداد جماعة من العلماء

بإشراف/ الشَّيخ صَفِيّ الرَّحمن المباركفوريّ

دار السّلام للنشر والتوزيع

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر © ALL RIGHTS RESERVED

الطبعة الأولى: جمادى الآخرة ١٤٢٣ هـ أغسطس ٢٠٠٢م

دار السلام للنشر والتوزيع

DARUSSALAM

شارع الأمير عبد العزيز بن جلوي (الضباب سابقا) مقابل الغرفة التجارية
المملكة العربية السعودية ص.ب : ٢٢٧٤٣ الرياض ١١٤١٦
تلفون: ٤٠٣٣٩٦٢/٤٠٤٣٤٣٢ - ١ - ٠٠٩٦٦ فاكس: ٤٠٢١٦٥٩
E-mail:darussalam@naseej.com.sa

ح مكتبة دار السلام للنشر والتوزيع، ١٤٢٣ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

مكتبة دار السلام

تاريخ مكة المكرمة - الرياض.

١٦٠ ص، ١٤×٢١ سم

ردمك ٢-٧٣-٨٦١-٩٩٦٠

١ - مكة المكرمة - تاريخ أ- العنوان

ديوي ٩٥٣،١٣١ ٢٣/٣٥٤٣

رقم الإيداع: ٢٣/٣٥٤٣

ردمك: ٢-٧٣-٨٦١-٩٩٦٠

فرع الرياض: تلفون: ٤٦١٤٤٨٣-١-٠٠٩٦٦ فاكس: ٤٦٤٤٩٤٥

الفروع :

جدة : تلفون وفاكس: ٦٨٠٧٧٥٢-٢-٠٠٩٦٦ الخبر: تلفون: ٨٦٩٢٩٠٠-٣-٠٠٩٦٦

فاكس: ٨٦٩١٥٥١ الشارقة: تلفون: ٥٦٣٢٦٢٣-٦-٠٠٩٧١ فاكس: ٥٦٣٢٦٢٤

لندن: تلفون: ٢٠٨ ٥٢٠٢٦٦٦-٠٠٤٤ فاكس: ٢٠٨ ٥٢١٧٦٤٥

باكستان (لاهور): تلفون: ٧٢٤٠٠٢٤-٤٢-٠٠٩٢ فاكس: ٧٣٥٤٠٧٢

نيويورك: تلفون: ٦٢٥٥٩٢٥-٧١٨-٠٠١

هيوستن: تلفون: ٧٢٢٠٤١٩-٧١٣-٠٠١ فاكس: ٧٢٢٠٤٣١

Website:http:// www.dar-us-salam.com

تاريخ مكة المكرمة

كتاب مختصر وجامع لأحوال مكة المكرمة
وما يخص حجاج بيت الله الحرام

دار السلام
DARUSSALAM

دار السلام للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ أوّل بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعلمين

(آل عمران: ٩٦)

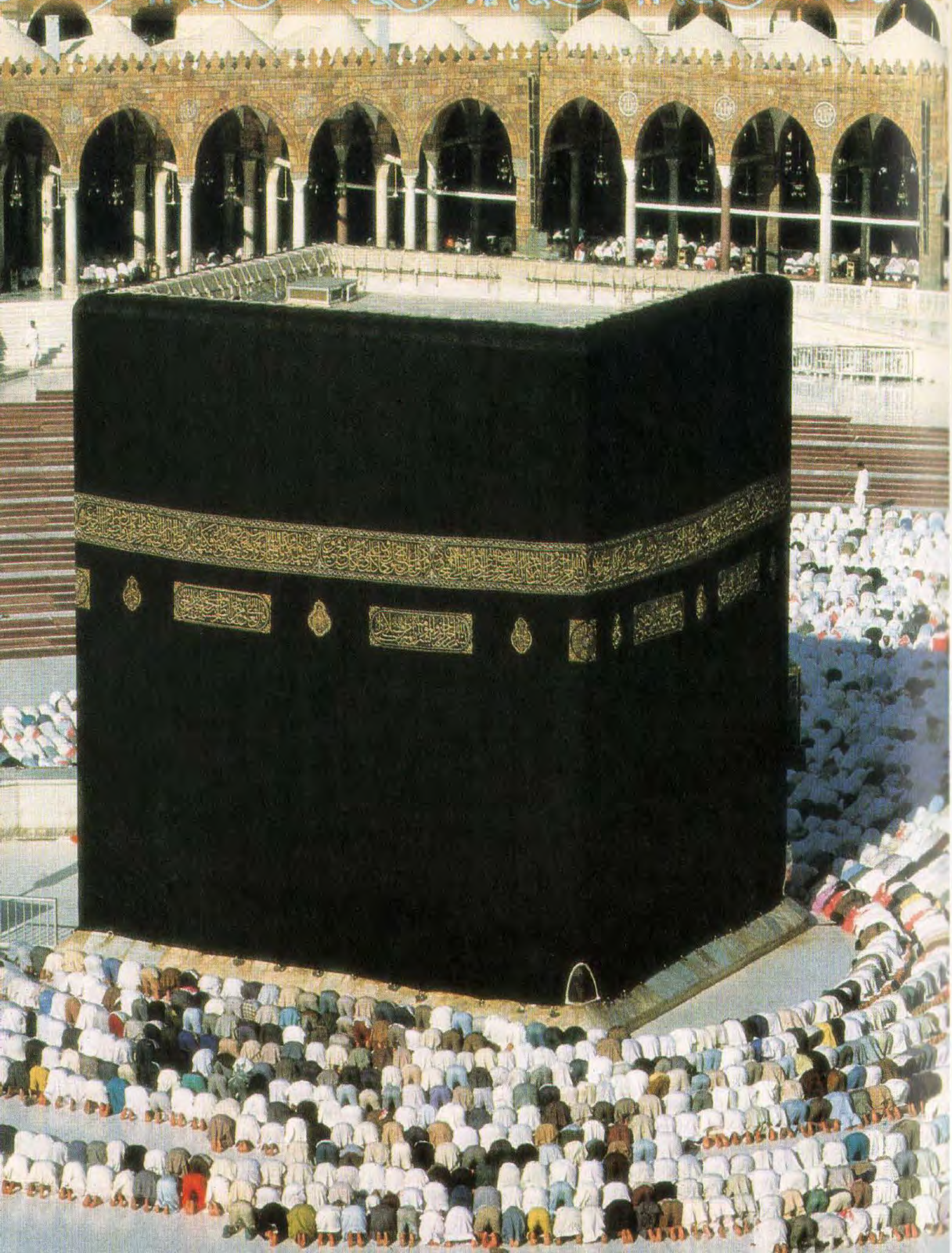

كلمة الناشر

هذا الكتاب يلقي الضوء على الجوانب المختلفة لمكة المكرمة، بحيث يكوِّن القارىء صورة متكاملة عن هذه المدينة المقدسة بعد الفراغ من قراءته.

والكتاب ليس سردًا تاريخيًّا، فلم نورد فيه من الأحداث التاريخية إلا ما كان له أثر مباشر على مكة، ونشأتها وقدسيتها، ومكانتها الدينية.

بدأ الكتاب بالحديث عن تحريم مكة المكرمة، وحدود الحرم وحرمته، ثم تحدَّث عن أفضلية مكة وأورد الأحاديث الدالة على ذلك، ثم كان الحديث عن أسماء مكة ومدلولات تلك الأسماء.

كما تحدَّث الكتاب عن إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - وعلاقتهما بمكة وحرمتها وإنشائها، ولأن مكة إنما تستمد قدسيتها ومكانتها الرفيعة من وجود "الكعبة" فيها، فقد كانت "الكعبة" عنوانًا رئيسًا، وكان الحديث عنها شاملاً من حيث: منشؤها، وبناؤها، وعلاقة هاجر وإسماعيل بها، وما تعرّضت له من حوادث وهدمها وبنائها على مر العصور، وسدانتها، كما كان الحديث عما يتعلق بها ويرتبط من الأماكن والمواضع المقدسة

مثل: المقام، والحَجر الأسود، والحِجر، والملتزم.

وكان من الطبيعي أن يفرد الكتاب حيزًا معتبرًا لبئر زمزم متحدثًا عن تاريخ نشأتها، وإعادة حفرها، وأفضليتها، والعلاج بمائها، وأورد مثالاً حيًّا لذلك.

وتحدث الكتاب بعد ذلك عن "غزوة الفتح" لما لها من أثر بالغ على مكة وتاريخها، بل وعلى مستقبل الإسلام وانتشاره، وتطهير البيت الحرام من الشرك والمشركين.

وهناك مواضع مهمة لا يمكن أن تُذكر مكة إلا استدعاها الخاطر، فهي مرتبطة بها أشد الارتباط، فكان لابد من ذكرها والتحدث عنها ومنها:

حراء، جبل ثور، منى، عرفات، والمحسِّر، ومسجد الخيف، ومزدلفة. وفي نهاية الكتاب يجد القارىء الكريم ملحقًا عن الحج وشعائره، على اعتبار أن للحج علاقة وثيقة بمكة ومكانتها عند المسلمين.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عبدالمالك مجاهد

المدير المسئول

أهمية مكة المكرمة ومكانتها الدينية

مكة البلد الحرام، أحبُّ بلاد الله إلى الله، وأحبها إلى رسوله، قبلة المسلمين، ومهوى أفئدتهم، ومأوى حَجِّهم، ومجمع وفودهم، وملتقى جموعهم، حرّمها الله تعظيمًا وإجلالاً يوم خلق السموات والأرض، بها الكعبة أول بيت وضع لعبادة الله على الأرض، وللبيت العتيق جعل الله حرمًا لتعظيمه، فجعل فيه الأمان حتى شمل ما فيه من الشجر والنبات فلا يقطع، وما فيه من الطير فلا ينفّر، وجعل ثواب الأعمال فيه أفضل من ثوابها في غيره، والصلاة فيه بمائة ألف صلاة، ومن عظمة البيت أخذت مكة عظمتها ومن حرمته كانت حرمتها، ومن أمانه ـ حين قال الله عنه:

﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ (آل عمران: ٩٧)

كان أمانها، أقسم الله بها لينبه على عظَمة قدرها فقال:

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ (البلد: ١)

وعندها قال رسول الله (ﷺ): "والله إنكِ لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أُخرِجتُ منك لما خَرجتُ"[(١)] وعن

(١) أخرجه أحمد (٤/٣٠٥) والدارمي (٢٥١٣) والترمذي (٣٩٢٥) وابن ماجه (٣١٠٨) عن عبدالله بن عدي بن الحمراء. وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي وصحيح ابن ماجه.

كعب قال: اختار الله البلاد، فأحب البلاد إلى الله البلد الحرام [1].

وانطلاقًا من هذه المكانة السامية والمرتبة العالية والدرجة الرفيعة لمكة عند الله ورسوله وكافة المسلمين، كتبنا هذا الكتاب، راجين أن يتقبله الله قربى وعملاً صالحًا، وأن ينفع به من يقرؤه من المسلمين، وقد حرصنا كل الحرص على أن نورد أصح الأحاديث، ونروي أوثق الروايات،فإن وفقنا فمن الله، وبعض فضله.

تحريم مكة

يقال لمكة: البلد الحرام، ويتضح من حديث رسول الله (ﷺ) أن مكة حرام منذ خلق الله السموات والأرض، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما فتح الله تعالى على رسوله (ﷺ) مكة، قام رسول الله (ﷺ) في الناس، فحمد الله، وأثنى عليه ثم قال: "إن الله حبس عن مكة الفيل، وسلط عليها رسوله والمؤمنين، وإنها لن تحل لأحد كان قبلي، وإنها أحلت لي ساعة من نهار، وإنها لن تحل لأحدٍ بعدي، فلا ينفّر صيدُها، ولا يختلى [2] شوكها، ولا تَحِلُّ ساقطتها إلا لمنشد، ومن

---

(١) جزء من أثر طويل أخرجه البيهقي في الشعب عن كعب التابعي ورجال إسناده موثقون (٣٧٤٠) وانظر تحقيق الشعب مطبوع بالهند برقم (٣٤٦٥). (٢) يختلى: يقطع الرطب منه.

قُتل له قتيل فهو بخير النظرين، إما أن يفدى وإما أن يقتل".

فقال العباس: إِلاّ الإِذْخِرَ[1] يارسول الله، فإنا نجعله في قبورنا وبيوتنا. فقال رسول الله(ﷺ): "إلا الإذخر" متفق عليه[2].

حُدودُ الحَرَم

وأول من نصب حدود الحرم إبراهيم الخليل -عليه السلام- نصبَ إبراهيم -عليه السلام- أنصاب الحرم[3]، يُرِيه جبريلُ -عليه السلام- ثمّ لم تحرك حتى كان رسول الله (ﷺ) بعث عام الفتح تميم بن أسد الخزاعي فجددها، ثمّ لم تحرك حتى كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه فبعث أربعة من قريش فجددوها[4].

وإنما جعل الله للبيت العتيق حرمًا لتعظيمه، فجعل فيه الأمان، حتى للطير والشجر، وجعل ثواب الأعمال فيه أفضل من غيره، والحرم دائرة على مكة المكرمة وبعض حدوده أقرب من بعض، وقد

(١) الإذخر: نبتة طيبة الرائحة مثل المسد تمامًا. (٢) البخاري (٢٤٣٤) ومسلم (١٣٥٥).

(٣) أنصاب الحرم: أعلام على حدوده. (٤) أخرجه الأزرقي في أخبار مكة (٢/ ١٢٩، ١٣٠).

نصبت أعلامٌ على حدوده في الطرق الرئيسة المؤدية إلى مكة وهي:

١- في طريق جدة من الغرب: "الشميسي" (الحديبية) وتبعد اثنين وعشرين كيلاً.

٢- الجنوب: "إضاءة لِبْن"[1] في طريق اليمن الآتي من تهامة وتبعد اثني عشر كيلاً.

٣- الشرق: ضفة وادي عُرَنة الغربية وتبعد خمسة عشر كيلاً.

٤- الشمال الشرقي: طريق الجعرانة بالقرب من قرية "شرائع المجاهدين" وتبعد ستة عشر كيلاً.

٥- الشمال: حَدُّه التنعيم ويبعد سبعة كيلوات.

---

(١) الإضاءة: الأرض، ولبن: اسم جبل.

حدود منطقة الحرم المكي

حُرمةُ الحرَم

قال الله تعالى:

﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران:٩٧]

يعني حرم مكة، إذا دخله الخائف يأمن من كل سوء، وكذلك كان الأمر في حال الجاهلية، كان الرجل يقتل ويدخل الحرم فيلقاه ابن المقتول فلا يهيجه حتى يخرج[1].

وقد انعقد الإجماع على أن من جنى في الحرم جناية فلا يُؤَمّن لأنه هتك حرمة الحرم، وأما إذا ارتكب الجناية في الحل ثم التجأ إلى الحرم فيضيّق عليه، حتى يخرج إلى الحل فيقام عليه الحد. فقد رُوي عن ابن عباس أنه قال: من أحدث حدثًا ثم استجار بالبيت فهو آمن، وليس للمسلمين أن يعاقبوه بشيء حتى يخرج، فإذا خرج أقاموا عليه الحد[2].

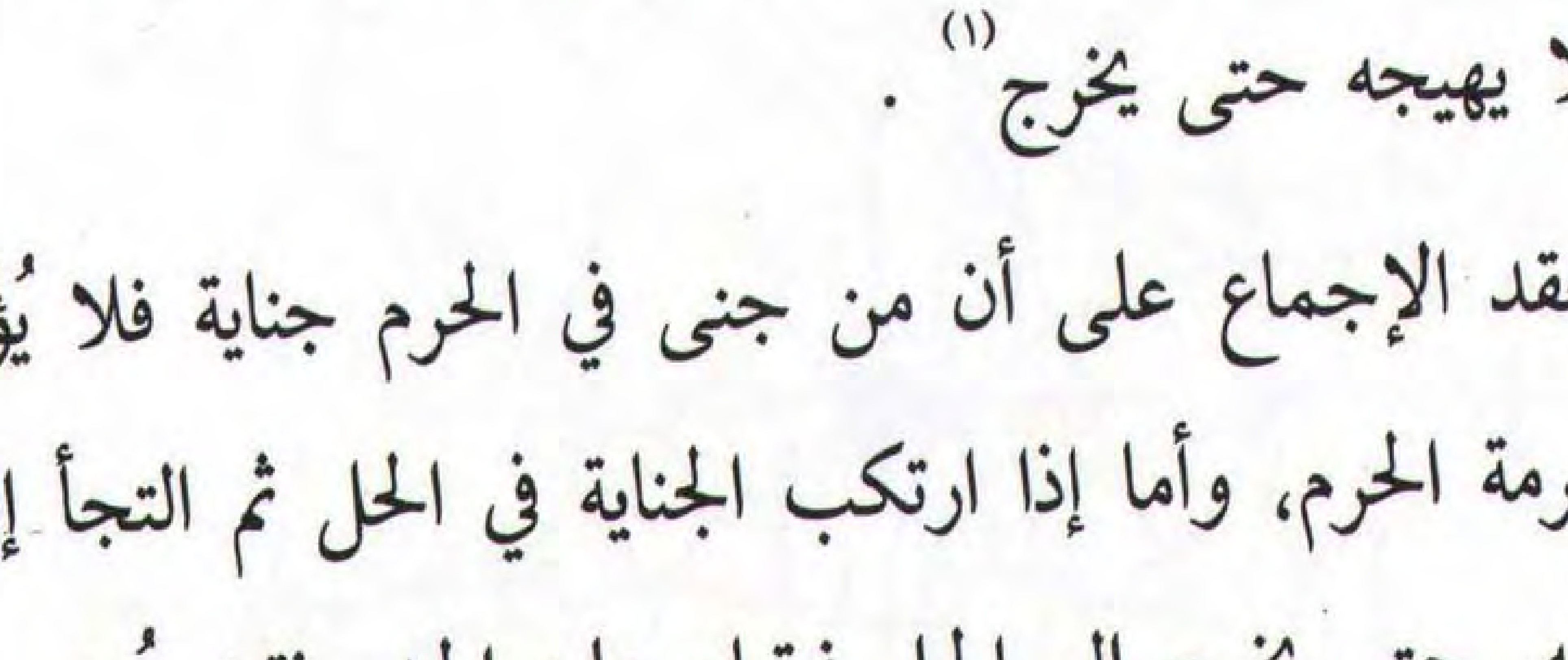

(١) تفسير ابن كثير. (٢) مثير الغرام الساكن لابن الجوزي.

أسماؤها

للبلد الشريف، والحرم المنيف أسماء كثيرة قاربت الخمسين[1] ، وقد سمى الله - عزّ وجلّ - مكة بخمسة أسماء: مكة، وبكة، والبلد، والقرية، وأم القرى، أما مكة فقال - عزّ وجلّ -:

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ [الفتح: ٢٤]

وأما بكة فقد ذكرها الله تعالى في قوله:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦]

وأما تسميتها بالبلد، فقد قال تعالى:

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ١]

يعني مكة، والبلد في اللغة صدر القرى، وأما تسميتها بالقرية، فقال تعالى:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ [النحل: ١١٢]

والقرية تجمع عددًا كبيرًا من الناس وهو اسم مأخوذ من الجمع: يقال قريت الماء في الحوض أي جمعته فيه. وأما تسميتها أم القرى، **فقال تعالى:** ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٢] **يعني مكة.**

ولمكة أسماء أخرى مثل: النسّاسة،الحاطمة، والحرم، وصلاح، والباسة، ومعاذ، والرأس، والبلد الأمين، وكوثى وغيرها كثير.

---

(١) انظر شفاء الغرام (١/٤٨-٥٣) ومعجم البلدان (٥/١٨١-١٨٣).

أفضلية مكة

الأحـــاديث التي تبـــين فضل مكة ومكانتها عند الله تعالى وعند رسـوله كثيرة، ومن هذه الأحـاديث، حـديث عبـدالله بـن عدي بـن الحمراء: أنه سمع رسـول الله (ﷺ) يقـول بمكة - وهو على راحـلته بالحَزْوَرَة -[1]:

"والله إنك لخير أرض الله، وأحـــب أرض الله إلى الله ولولا أني أُخرجت منك لما خرجت"[2].

وهذا - حديث ابن الحمراء - أصح الأحـاديث الواردة في البـاب، وهو حجة القائلين بأفضلية مكة على غيرها من الأماكن.

ويكفي مكة فضلاً أن الصلاة في المســـجد الحرام يضاعف أجرها أضعافًا كثيرة، فعن جابـر بـن عبـدالله- رضي الله عنه- قــال: قـال رسـول الله (ﷺ): "صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما ســواه إلا المسـجد الحرام، وصلاة في المسـجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة"[3].

(١) الحزورة: كانت سوقًا بمكة بفناء أم هانيء فدخلت في المسجد الحرام. انظر للتفصيل في هذا الموضوع: "زاد المعاد" لابن القيم (٢/٤٢٠-٤٢٥، ط. مطبعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة).

(٢) تقدم تخريجه في أهمية مكة المكرمة. (٣) أخرجه أحمد (٣٤٢/٣،٣٩٧).

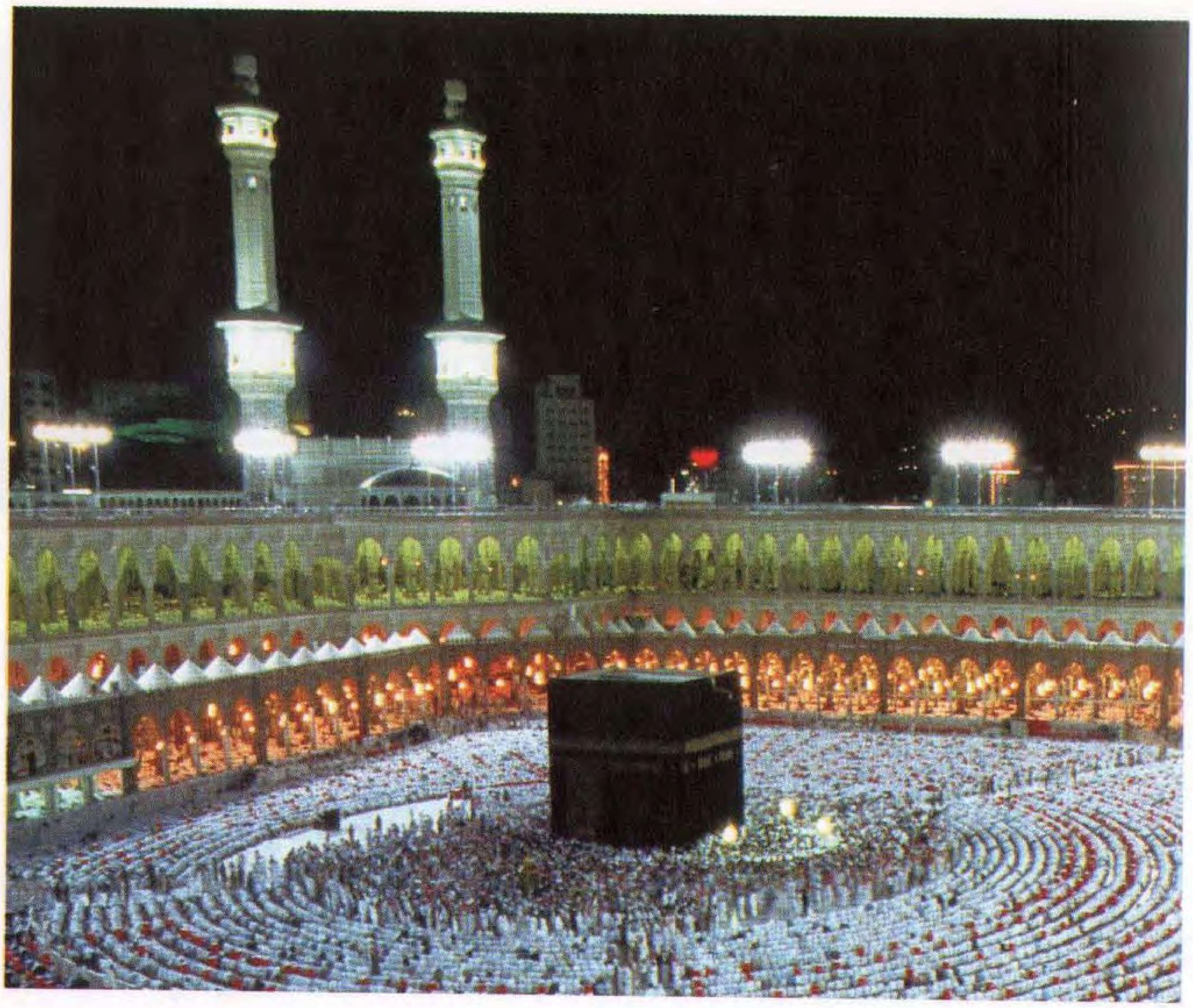

فإذا حسبنا فضل صلاة واحدة في المسجد الحرام على مقتضى حديث تفضيل الصلاة فيه على غيره بمائة ألف تبلغ الصلاة الواحدة في المسجد الحرام ما يصلى في خمس وخمسين سنة وستة أشهر وعشرين ليلة، وصلاة يوم وليلة - أي خمس صلوات - تبلغ صلوات مائتين وسبع وسبعين سنة وتسعة أشهر وعشر ليال.

وفي الحديث مضاعفة أجر الصلاة ما يقتضي مضاعفة كل حسنة بمائة ألف. قال المحب الطبري: إن فيما تقدم من أحاديث مضاعفة ثواب الصلاة والصوم دليل اطراد التضعيف في جميع الحسنات إلحاقاً

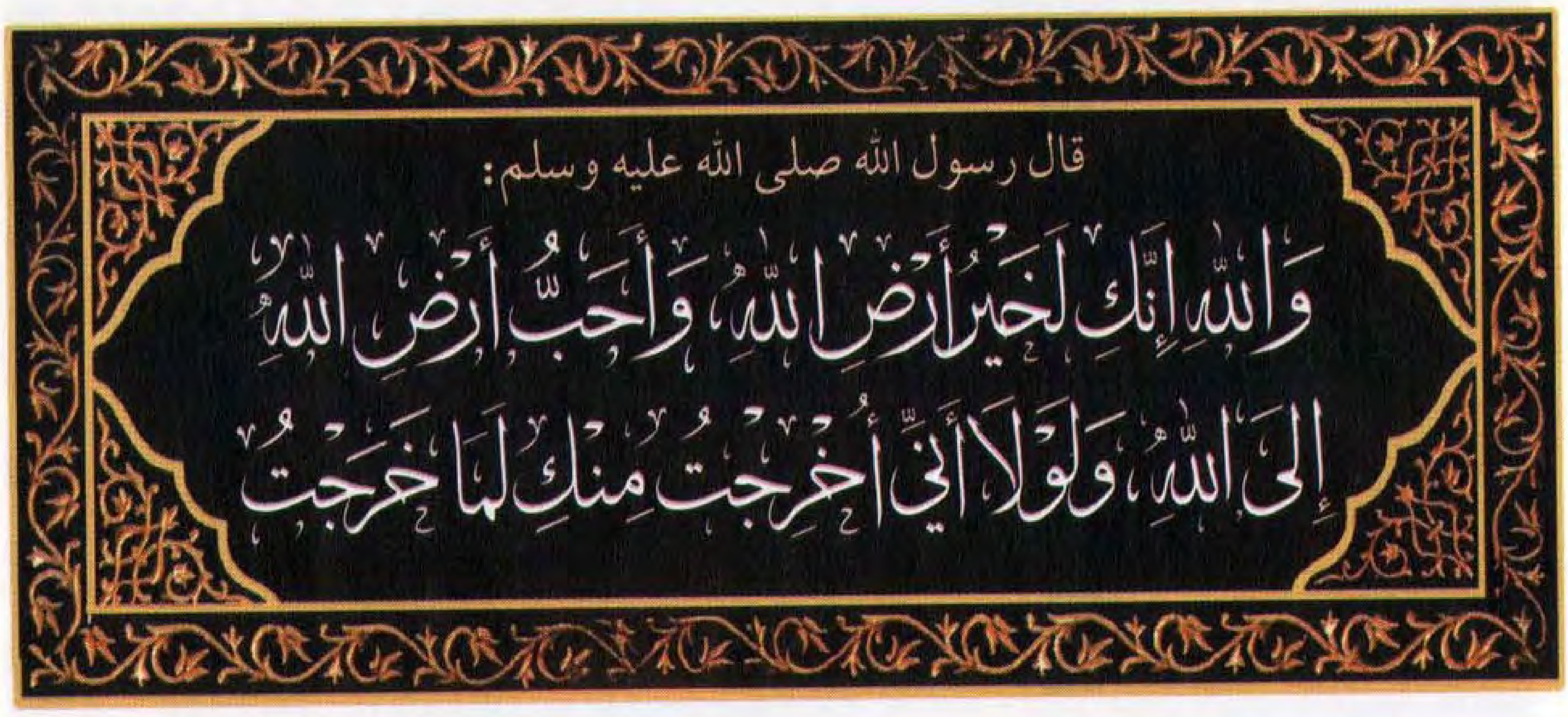

بهما[١]. وقد قال الحسن البصري: صوم يوم بمكة بمائة ألف يوم، وصدقة درهم بمائة ألف، وكل حسنة بمائة ألف[٢].

ويشترط في مضاعفة الأجر شرطان: الإخلاص لله في العمل، والمتابعة للرسول (ﷺ).

وعلى المسلم تجنب المعصية في مكة، فإنه كما تضاعف الحسنات تضاعف السيئات. قال مجاهد: تُضاعف السيئات بمكة كما تُضاعف الحسنات[٣].

وسئل أحمد بن حنبل: هل تكتب السيئة أكثر من واحدة؟ قال: لا، إلا بمكة لتعظيم البلد. كذلك قال ابن مسعود - رضي الله عنه -: لو أن رجلاً همّ بقتل مؤمن عند البيت وهو بعدَن أبين، أذاقه الله في الدنيا العذاب الأليم[٤].

(١) منائح الكرم (١/ ٢٣٤) وانظر مناسك النووي (ص ٤٠٧) والقِرى للمحب الطبري (ص ٦٥٨).
(٢) فضائل مكة للحسن البصري (ص ٢١). (٣) مثير الغرام الساكن (ص ٢٣٤).
(٤) أخرجه أحمد (١/ ٤٥١، ٤٢٨).

المجاورة بمكة

المجاورة بمكة مستحبة لما فيها من تضاعف الحسنات والطاعات، وقد جاور بها ممن يُقتدَى به من سلف الأمة وخلفها خلائق لا يُحصون. ومن أكبر الأدلة على استحباب مجاورتها: تمني النبي (ﷺ) سكناها. وتمني بلال العود إلى مكة، في شعره[1].

ومن ألطف ما قيل في الهجرة إلى مكة والمجاورة ما قاله الزمخشري في الكشاف: ولقد جربنا وجرب أوّلونا، فلم نجد فيما دُرنا وداروا أعوَنَ على قهر النفس وعصيان الشهوة، وأجمعَ للقلب المتلفِّت، وأضم للهمِّ المنتشر، وأحث على القناعة، وأطردَ للشيطان وأبعد من كثير من الفتن، وأضبط للأمر الديني في الجملة ، من سكنى حرم الله، وجوار بيت الله، فلله الحمد على ما سهل من ذلك وقرب، ورزق من الصبر وأوزع من الشكر[2].

(١) انظر صحيح البخاري (٣٩٢٦) وشفاء الغرام (١/١٦٠، ١٦١) والقِرى ص (٦٦٠-٦٦٣).

(٢) الكشاف (٣/٤٦٥).

وصف الكعبة المشرفة وتاريخ بنائها وعمارتها

قال الله تعالى:

﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾ [المائدة:٩٧]

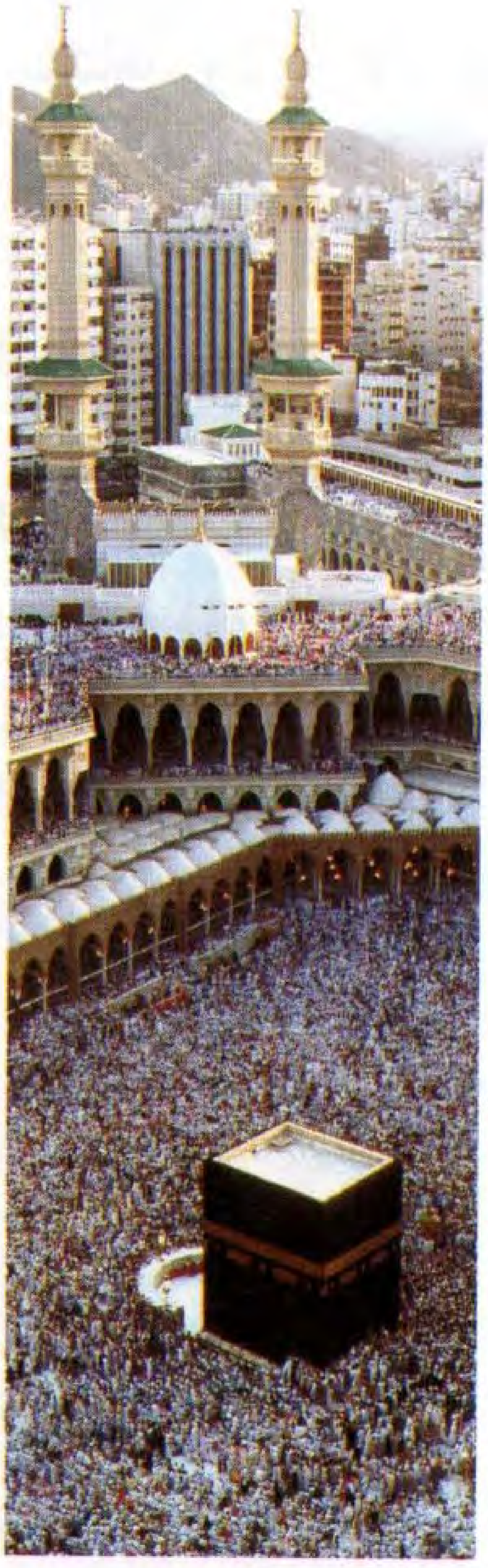

الكعبة: بيت الله الحرام في وسط المسجد، ووجه تسميتها بالكعبة هو ما روى الأزرقي عن أبي نجيح قال: إنما سميت الكعبة لأنها مكعّبة على خلقة الكعب، فسُميت لكونها مربعة، وكذا قال عكرمة ومجاهد، ويقال: بُرد مكعب إذا طُوي مربعًا.

وقيل: سميت الكعبة لعلوها ونتئها.

وتُسمّى بالبيت العتيق أيضا، لأن الله تعالى أعتقه من الجبابرة، روى عبدالله بن الزبير - رضي الله عنهما - عن النبي (ﷺ) أنه قال: "إنما سمي البيت العتيق، لأنه لم يظهر عليه جبار"(١).

(١) الترمذي (٣١٧٠) وهو ضعيف، انظر الضعيفة (٣٢٢٢).

بناء الكعبة

بنيت الكعبة أكثر من مرة، والمشهور من عدد بنائها خمس:

الأول: بناء الملائكة، والثاني: بناء آدم عليه السلام والثالث: بناء إبراهيم عليه السلام والرابع: بناء قريش في الجاهلية وحضره النبي (ﷺ) وهو ابن خمس وعشرين سنة، والخامس: بناء ابن الزبير.

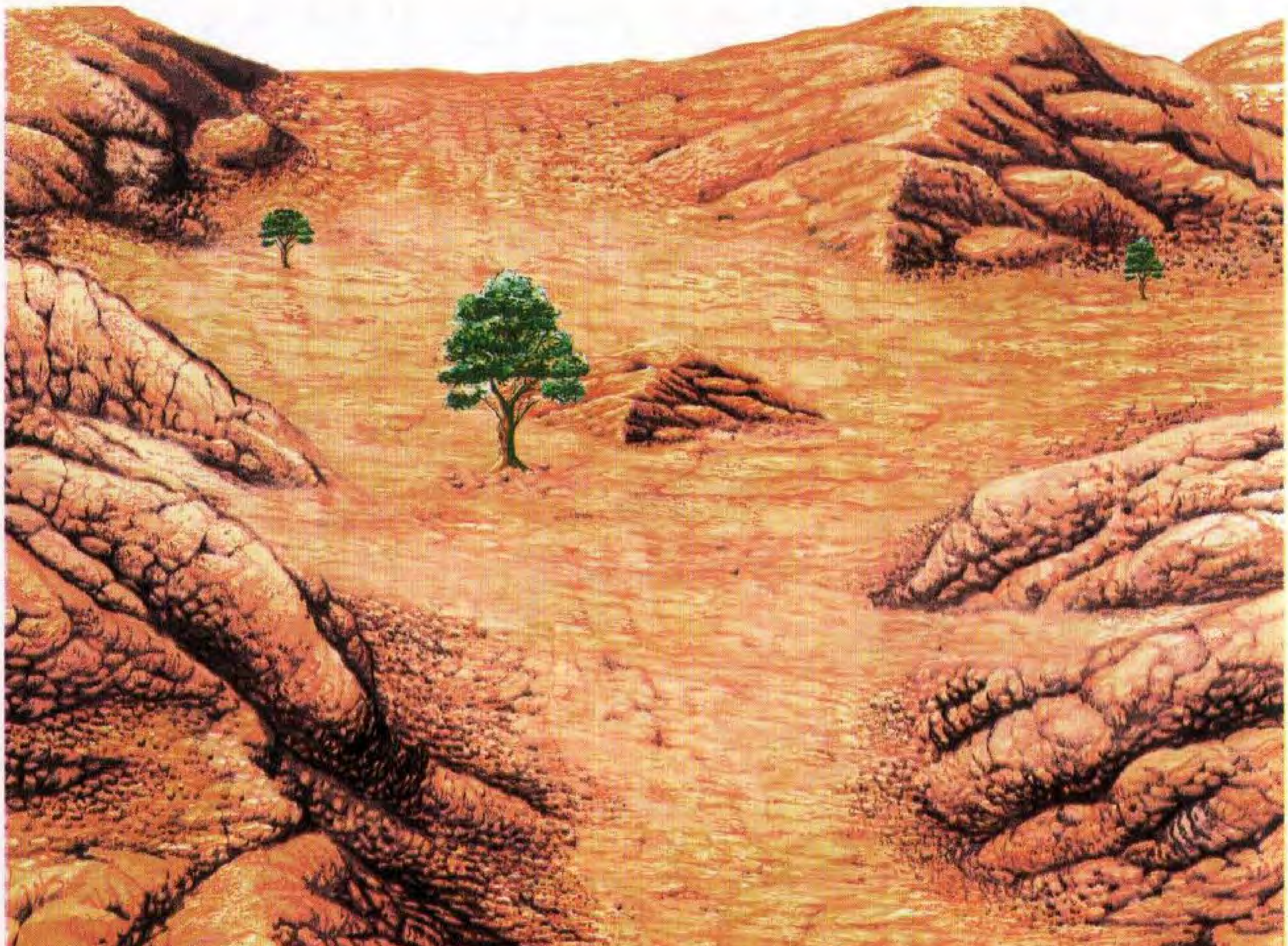

بناء إبراهيم وإسماعيل للكعبة

عندما ولد إسماعيل لهاجر، اشتدت غيرة سارة منها، وطلبت من الخليل أن يغيب وجهها عنها، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى إبراهيم أن يخرجها وابنها إلى مكة المشرفة فذهب إبراهيم عليه السلام بها وبولدها، فسار بهما حتى وضعهما حيث مكة اليوم.

وكان إبراهيم بعد أن ترك هاجر وابنها يزورهما ويتفقد أحوالهما، وفي إحدى زياراته وجد إسماعيل يبري نبلاً له تحت

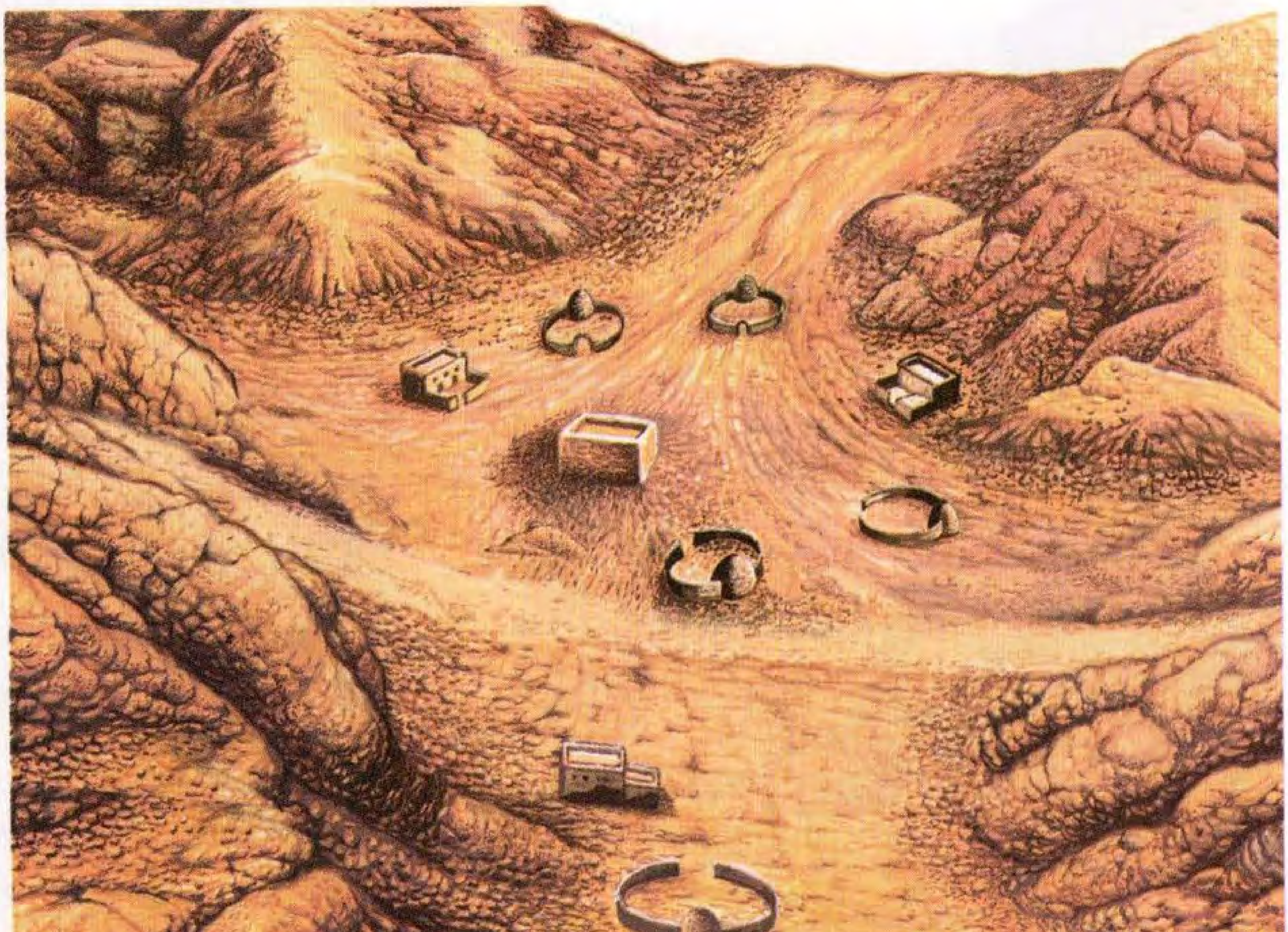

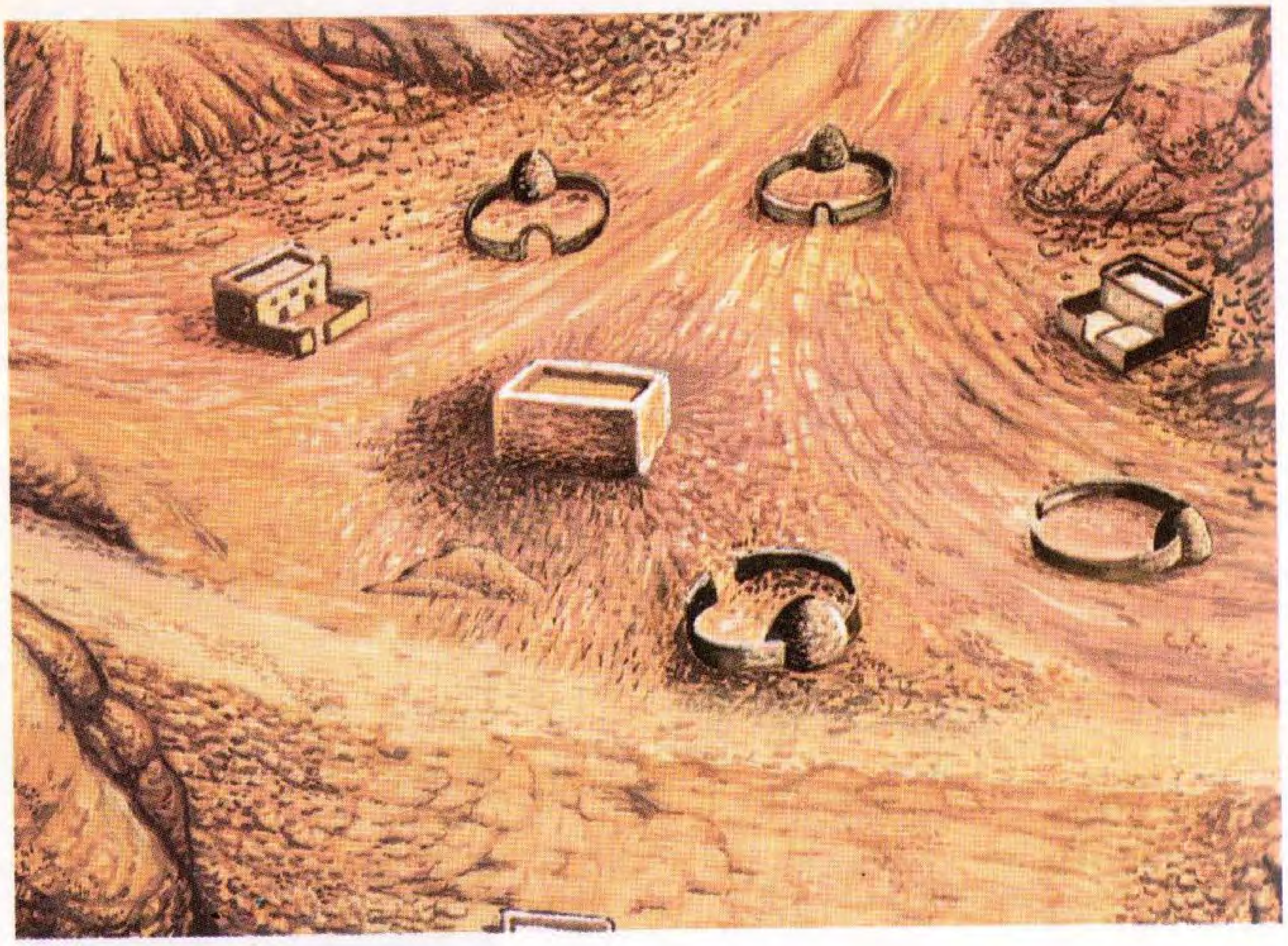

دوحة قريبًا من زمزم، فلما رآه قام إليه، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال: يا إسماعيل، إن الله أمرني بأمر، قال: فاصنع ما أمرك به ربك، قال: وتعينني؟ قال: وأعينك، قال: فإن الله أمرني أن أبني ههنا بيتًا - وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها - فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، وجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر (المقام) فوضعه له. فقام عليه وهو يبني، وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان:

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة:١٢٧]

ويدوران حول البيت.

بناء قريش الكعبة

قبل بعثة الرسول (ﷺ) بقليل كانت الكعبة رضمًا [1]، وارتفاعها فوق القامة، وقد قام نفر بسرقة كنز الكعبة، وكان في بئر في جوفها، فأرادت قريش رفعها وتسقيفها، وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جدة لرجل من تُجار الروم، فتحطمت فأخذوا خشبها فأعدوه لتسقيفها، ثم إن الناس هابوا هدمها، فبدأ الوليد ابن المغيرة بالهدم فلما لم يصبه شيء هدم الناس معه.

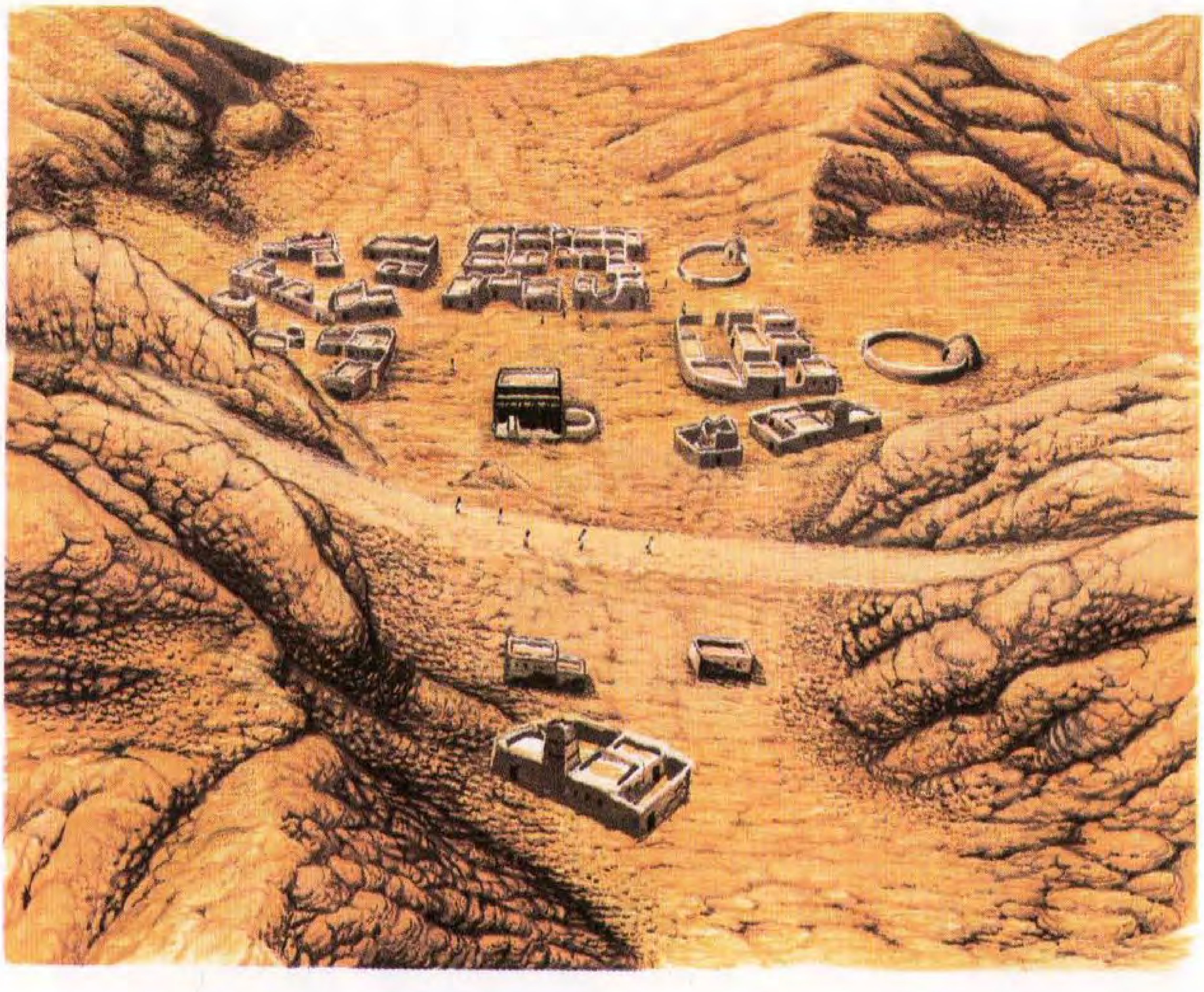

(١) رضم: أن تنضد الحجار بعضها فوق بعض من غير ملاط.

النبي (ﷺ) يضع الحجر

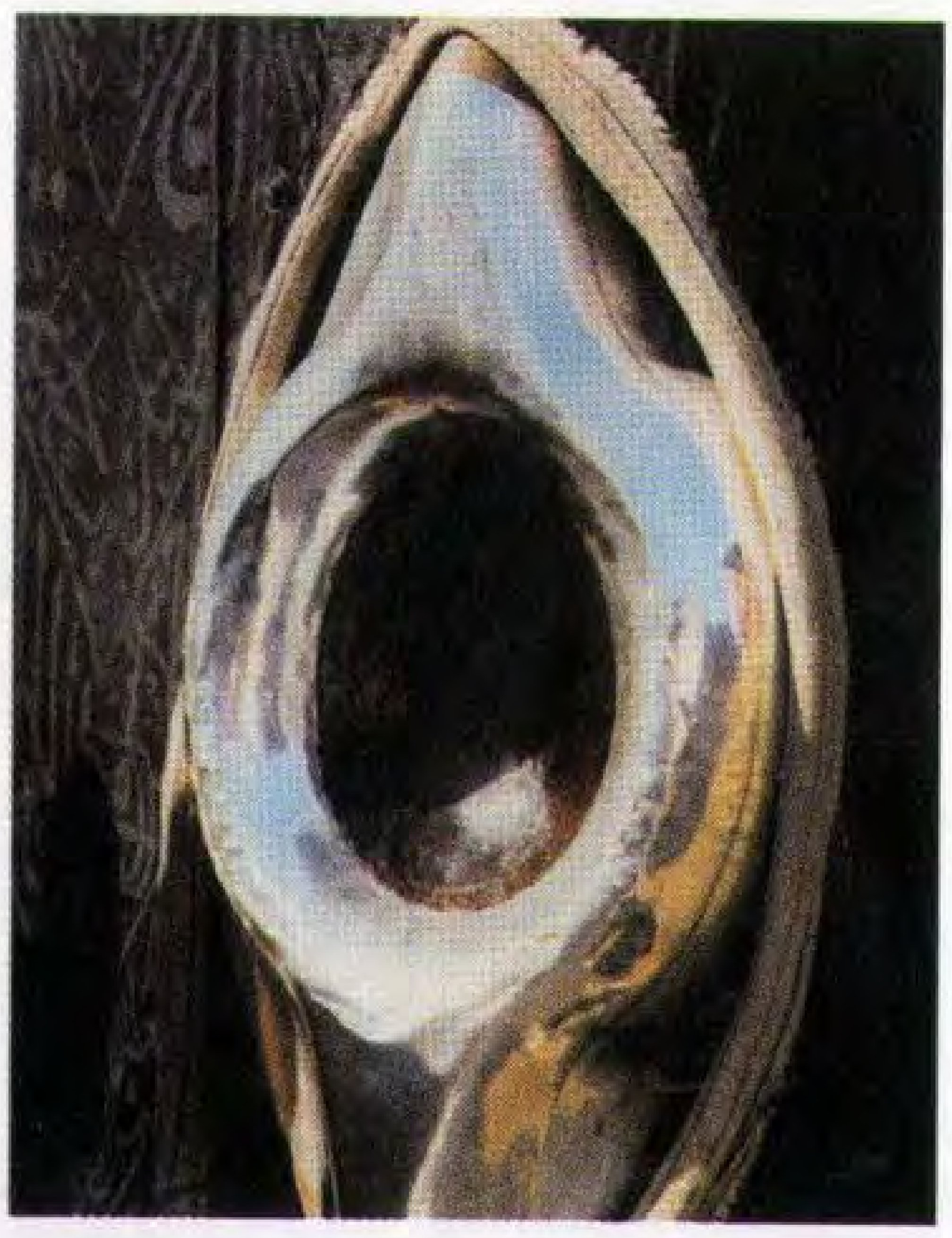

ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها كل قبيلة تجمع على حدة، ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن فاختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، حتى تحاوزوا[1] وتخالفوا، وأعدوا للقتال، فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمسًا، ثم إنهم اجتمعوا في المسجد، وتشاوروا وتناصفوا، فزعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية ابن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، وكان عامئذٍ أسنَّ قريش كلها. قال: يامعشر قريش، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه، ففعلوا. فكان أول داخل عليهم رسول الله (ﷺ)، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين، رضينا هذا محمد، فلما انتهى إليهم، وأخبروه الخبر، قال: هَلُمّ إليّ ثوبًا. فأتي به، فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعًا، ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه هو بيده، ثم بُني عليه[2].

(١) تحاوزوا: انحازت كل قبيلة إلى جهة. (٢) سيرة ابن هشام (٢٣٤،١/٢٣٣).

بناء ابن الزبير الكعبة

لما أبطأ عبدالله بن الزبير عن بيعة يزيد بن معاوية وتخلف وخشي منهم، لحق بمكة ليمتنع بالحرم، وجمع مواليه، وجعل يظهر عيب يزيد، ويهاجم بني أمية، فبلغ ذلك يزيد، فقرر إرسال

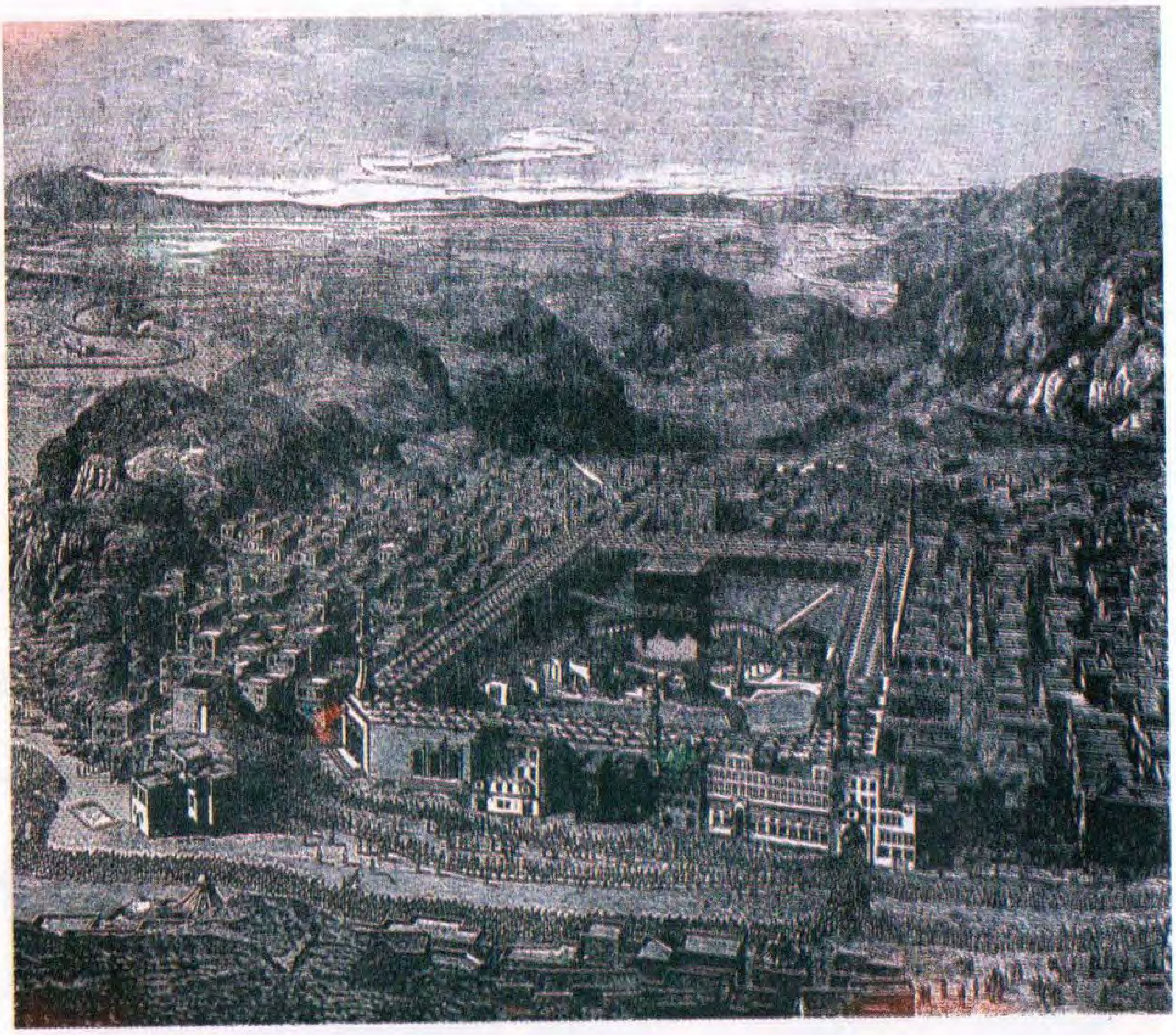

جيش إلى عبدالله ليأتوا به مغلولاً، وبينما هو يعد الجيوش، إذ أتى يزيد خبر أهل المدينة وما فعلوا بعامله، ومن كان معه بالمدينة من بني أمية وإخراجهم إياهم منها إلا من كان من ولد عثمان

ابن عفان، فأرسل يزيد جيشًا لقتال أهل المدينة، فلما ظفر بهم ودخلها، مضى الجيش إلى مكة بقيادة الحصين بن نمير، فقاتل ابن الزبير بها أيامًا، وجمع ابن الزبير أصحابه، فتحصَّن بهم في المسجد الحرام، وحول الكعبة، ونتيجة لكثرة الخيام حول الكعبة احترقت إحدى الخيام، وكان في ذلك اليوم رياح شديدة، والكعبة يومئذ مبنية بناء قريش، مِدْمَاك من ساج، ومِدْماك من حجارة من أسفلها إلى أعلاها، وعليها الكسوة، فطارت الرياح بلَهَب النار فاحترقت كسوة الكعبة، واحترق الساج الذي بين البناء، وكان احتراقها يوم السبت لثالث ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين، فضعفت جُدران الكعبة، حتى إنها لتنقض من أعلاها إلى أسفلها، وتقع الحمامة عليها فتتناثر حجارتها، ففزع لذلك أهل مكة وأهل الشام[1] جميعًا. والحصين بن نمير محاصر ابن الزبير، فأرسل ابن الزبير رجالاً من أهل مكة من قريش وغيرهم، وقالوا لحصين: إن يزيد الذي رفض ابن الزبير مبايعته قد توفي - وكان توفي بعد حريق الكعبة بسبعة وعشرين يومًا - فعلى ماذا نقاتل؟ ارجع إلى الشام، حتى تنظر ماذا يجتمع عليه رأي صاحبك - يعنون معاوية بن يزيد - وهل يجمع الناس عليه؟ فلم يزالوا حتى لان لهم، ولم يزالوا به حتى رجع إلى

(١) الجيش الذي أتى من الشام.

الشام، فلما أدبر جيش الحصين بن نمير، وكان خروجه من مكة لخمس ليالٍ خلون من ربيع الآخر سنة أربع وستين، دعا ابن الزبير وجوه الناس وأشرافهم، وشاورهم في هدم الكعبة، فأشار عليه ناس غير كثير بهدمها، وأبى أكثر الناس هدمها، وكان أشدهم عليه إباء عبدالله بن عباس وقال له: دعها على ما أقرها عليه رسول الله (ﷺ) فإني أخشى أن يأتي من بعدك من يهدمها، فلا تزال تهدم وتبنى فيتهاون الناس في حرمتها ولكن ارفعها.

فقال ابن الزبير: والله! ما يرضى أحدكم أن يرقع بيت أبيه وأمه، فكيف أرقع بيت الله سبحانه وأنا أنظر إليه ينقض من أعلاه إلى أسفله، حتى إن الحمام ليقع عليه فتتناثر حجارته.

فأقام ابن الزبير أيامًا يشاور وينظر ثم أجمع على هدمها، وكان يحب أن يكون هو الذي يردُّها على ما قال رسول الله (ﷺ) على قواعد إسماعيل، ففي الصحيحين من حديث عائشة - رضي الله عنها - عن النبي (ﷺ) أنه قال لها: "ألم تري أن قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم؟" فقالت: يارسول الله، ألا تردُّها على قواعد إبراهيم؟ فقال رسول الله (ﷺ): "لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت".

فقال ابن عمر: ما أرى رسول الله (ﷺ) ترك استلام الركنين اللذين يليان الحجر إلا أن البيت لم يُتَمَّمْ على قواعد إبراهيم [(1)].

قالت عائشة - رضي الله عنها -: فقلت له: ما شأن بابها مرتفعًا؟

قال: "فعل ذلك قومُكِ ليُدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا" [(2)].

وفي حديث: "لولا أن قومك حديث عهدهم بكفر لنقَضْتُ الكعبة وجعلت لها بابين: باب يدخل منه الناس، وباب يخرجون منه" ففعله ابن الزبير [(3)] فقد هدم ابن الزبير الكعبة وبنى على أساس إبراهيم عليه السلام وكانت قريش قد قصرت عن ذلك [(4)]، وأدخل الحِجر في البيت، وجعل لها بابين شرقيًا وغربيًا [(5)]

(١) أخرجه البخاري (١٥٨٣). (٢) أخرجه البخاري (١٥٨٤) ومسلم (١٣٣٣).

(٣) أخبار مكة للأزرقي (١/ ٢٠٠-٢١٩). (٤) قيل: إنه لم يتوفر لهم المال الحلال الكافي.

(٥) أخبار مكة للأزرقي (١/ ٢٠٥).

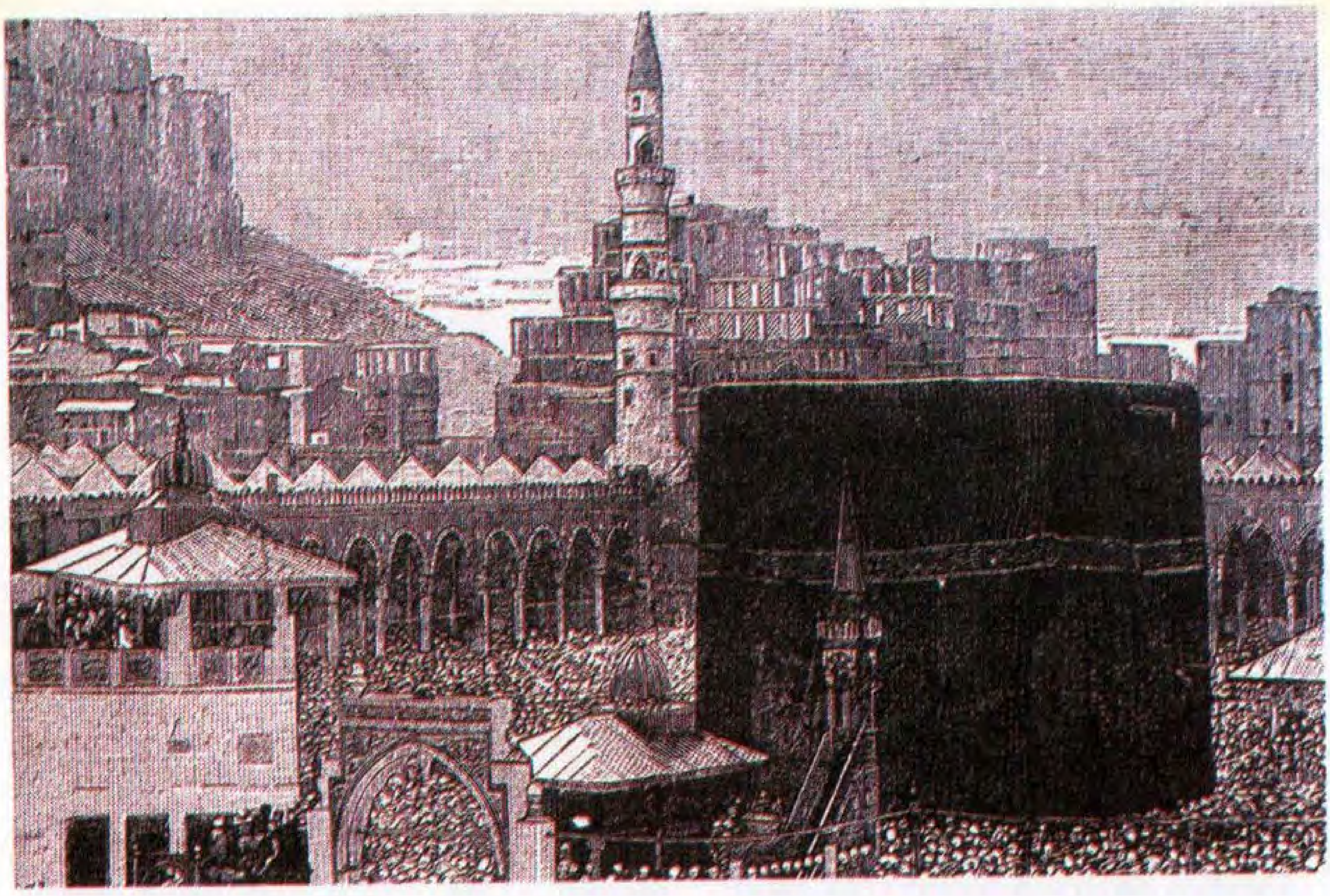

فلما فرغ ابـن الزبـير من بـناء الكعبـة، خلَّقـها من داخلها وخارجها من أعلاها إلى أسفلها، وكساها القباطي وقال: من كان لي عليه طاعة فليخرج فليعتمر من التنعيم، فمن قـدر أن ينحـر بدنة فليفعل، ومن لم يقدر على بَدَنة فليذبح شاة، وخرج ماشيًا وخرج الناس معه مشـاة حـتى اعتمروا من التنعيم شـكرًا لله سبحانه، ولم يُر يومٌ كان أكثر عتيقًا، ولا أكثر بَدَنة منحورة، ولا شاة مذبوحة، ولا صدقة أكثر من ذلك اليوم.

ونحر ابن الزبير مائة بدنة، فلما طاف بالكعبة استلم الأركان الأربعة جميعًا وقال: إنما كان ترك استلام هذين الركنين -الشامي والغربي - لأن البيت لم يكن تامًّا. فلم يزل البيت على بناء ابن الزبير - إذا طاف طائف استلم الأركان جميعًا - ويدخل البيت من هذا الباب، ويخرج من الباب الغربي، وأبوابه لاصقة بالأرض حتى قُتِل ابن الزبير رحمه الله تعالى، فدخل الحجاج مكة، وكتب

إلى عبدالملك بن مروان يخبره بما زاده ابن الزبير في البيت، فكتب إليه عبدالملك بن مروان: أن سُدّ بابها الغربي الذي كان فتح ابن الزبـــير، واهْدِمْ ما كان زاد فيها من الحجر، فهدم الحجاج منها ستة أذرع وشبرًا مما يلي الحِجر، وألبسها به على ما كانت عليه وترك ســائرها لم يحرك منها شــيئًا. ثم إن الخليفة علم بحديث عائشة - رضي الله عنها -، فندم عليه لكنه تركه ولم يزد عليه شيئا، والقصة مذكورة في صحيح مسلم[1].

فلما كانت خلافة الوليد بن عبدالملك، بعث إلى واليه على مكة خالد القَسري بستة وثلاثين ألف دينار، فضرب منها على بـاب الكعبــة صفاحًا من ذهب وعلى ميزاب الكعبــة، وعلى الأساطين التي في بطنها وعلى الأركان في جوفها، فيكون الوليدُ أولَ من ذهّب البيت في الإسلام.

---

(١) مسلم (١٣٣٣).

وَقْعَةُ أَصْحَابِ الْفِيلِ

في عهد عبدالمطلب وَقَعَ حدث عظيم خلَّده القرآنُ وهو وقعة أصحاب الفيل، ذلك أن أبرهة الحبشي الذي كان يحكم اليمن، بنى له كنيسة سمّاها (القُلَّيس) وأراد أن يصرف إليها حج العرب من الكعبة، فغضب العرب لذلك، وأتى رجل كناني فأحدث فيها، فلما علم أبرهة بذلك غضب وأقسم ليسيرن إلى البيت فيهدمه، ثمّ أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت، ثم سار ومعه الفيل.

فلما نزل أبرهة المُغَمَّس(١) ، بعث رجلاً من الحبشة يقال له: الأسود بن مقصود، على خيل له حتى انتهى إلى مكة، فساق إليه أموال أهل تهامة من قريش وغيرهم، وأصاب فيها مائتي بعير لعبدالمطلب بن هاشم، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها، فهمت قريش وكنانة وهذيل، ومن كان بذلك الحرم بقتاله، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به، فتركوا ذلك.

وبعث أبرهة حُناطة الحميري إلى مكة وقال له: سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفها ثم قل له: إن الملك يقول لك: إني لم آت لحربكم، إنما جئت لهدم هذا البيت، فإن لم تعرضوا دونه

(١) موضع بطريق الطائف.

سُورَةُ الفِيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ
فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم
بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

بحرب، فلا حاجة لي بدمائكم، فإن هو لم يرد حربي فأتني به.

فلما دخل حُناطة مكة، سأل عن سيد قريش وشريفها فقيل له: عبدالمطلب بن هاشم، فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة، فقال له عبدالمطلب: والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم - عليه السلام - فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمه، وإن يُخَلِّ بينه وبينه فوالله ما عندنا دفعٌ عنه، فقال له حناطة: فانطلق معي إليه، فإنه أمرني أن آتيه بك.

وكان عبدالمطلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم، فلما رآه أبرهة أجلّه وأعظمه وأكرمه عن أن يُجلِسَه تحته، وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه، فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه، وأجلسه معه عليه إلى جنبه ثم قال لترجمانه: قل له: حاجتك؟ فقال له ذلك الترجمان.فقال: حاجتي أن يردّ عليّ المِلك مائتي بعير أصابها لي. فلما قال له ذلك قال أبرهة لترجمانه:

قل له: قد كنتَ أعجَبْتَني حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني، أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك، وتترك بيتًا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه، لا تكلمني فيه؟!.

قال له عبدالمطلب: إني أنا ربّ الإبل وإن للبيت ربًّا سيمنعه، قال: ما كان ليمتنع مني. قال: أنت وذاك.

رد أبرهة على عبدالمطلب إبله، وانصرف عبدالمطلب إلى قريش وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز[1] في شعف[2] الجبال والشعاب تخوفًا عليهم من معرة[3] الجيش.

ثم قام عبدالمطلب، فأخذ بحلقة باب الكعبة، وقام معه نَفَر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده، فقال عبدالمطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة:

لاهُمَّ[4] إن العبد يمنع رَحْلَه فامنع حِلاَلَك[5]

لا يَغلِبنَّ صليبُهم ومِحالُهم غَدْوًا[6] مِحَالَكْ[7]

فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة، وهيأ فِيلَه وعبَّى جيشه، وكان اسم الفيل محمودًا، وأبرهة مجمع لهدم البيت، ثم الانصراف إلى اليمن. فلما وجهوا الفيل إلى مكة برك الفيل، فضربوه ليقوم فأبى، فوجهوه راجعًا إلى اليمن فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام

(١) التحرز: التمنع. (٢) شَعَف: رؤوس. (٣) معرة الجيش: شدته. (٤) لاهمَّ: اللهم.
(٥) حِلال: جمع حلة جماعة البيوت. (٦) غدوًا: غدًا. (٧) محالك: قوتك.

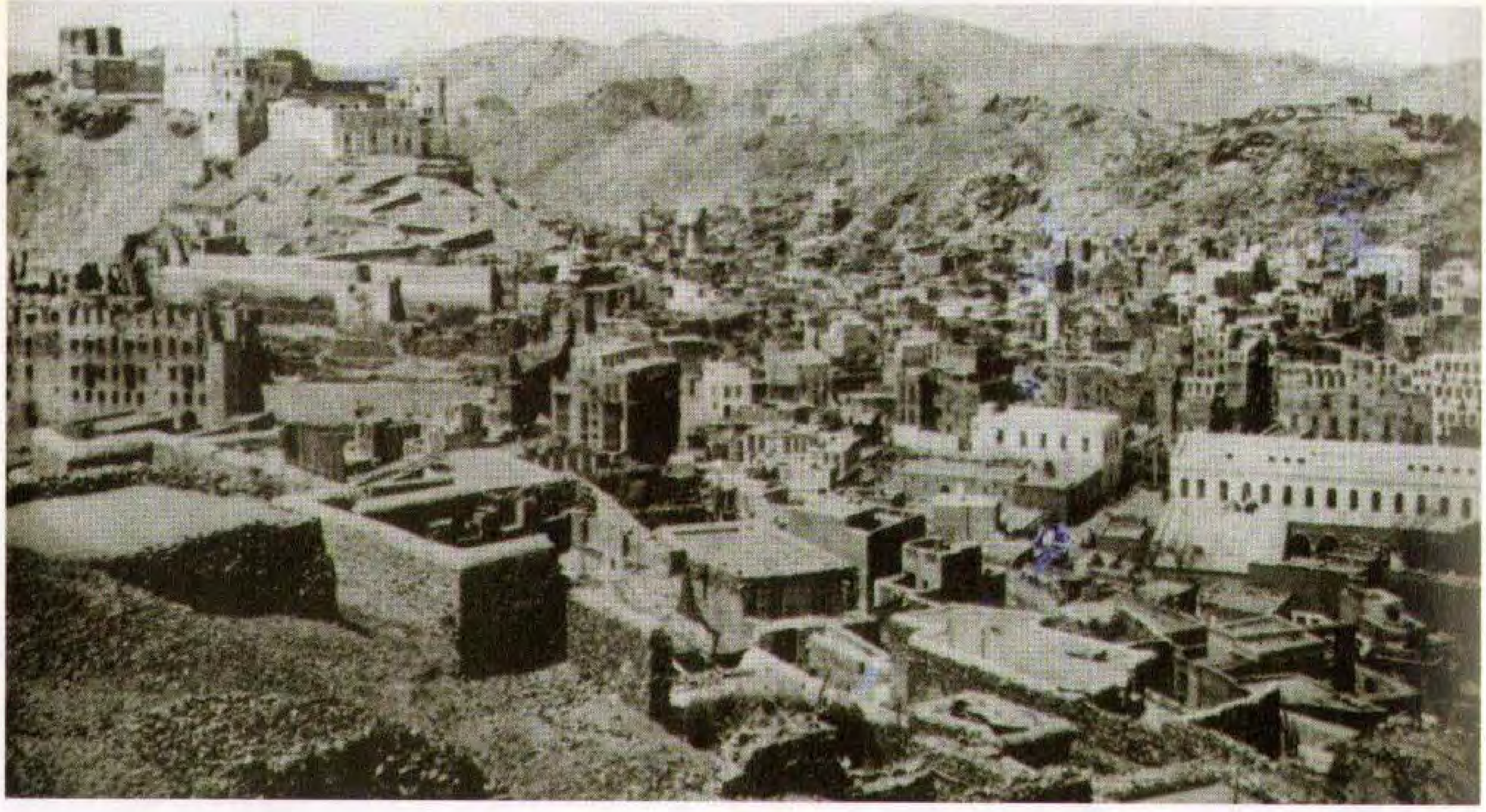

ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى المشـــرق ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فبرك، فأرسـل الله تعالى عليهم طيرًا من البحـر، مع كل طائر منها ثلاثة أحـجار يحملها، حـجر في منقـاره، وحـجران في رجليه، أمثال الحمص والعدس، لا تصيب منهم أحــدًا إلا هلك، فخرجوا يتساقـــطون بـــكل طريق، ويهلكون على كل منهل، وأصيب أبـرهة في جسـده، وخرجوا بـه معهم تسقـط أنامله أنملة أنملة حتى قدموا به صنعاء، وهو مثل فرخ الطير فمات هناك.

وقد كان لحادثة الفيل أثر كبير جدًّا على قريش ومكانتها بين قبائل العرب، فلما رد الله الحبشـة عن مكة، وأصابهم ما أصابهم من النقـمة، عظَّمت العربُ قـريشًا. وقـالوا: أهلُ الله، قـاتل الله عنهم، فكفاهم مؤونة عدوهم.

كما أن هذا الحدث رفع من مكانة عبـــــدالمطلب ورفع ذكره وعظَّم شأنه بين العرب جميعًا، فقد تصرف بذكاء وحسن تدبير، وجنَّب قومه أخطارًا جساماً.

هدم الكعبة في آخر الزمان

جاء في أحاديث رسول الله (ﷺ) ما يؤكد أن الكعبة سوف تخرّب في آخر الزمان، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله (ﷺ): " يُخرِّب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة "[1].

وعن علي - رضي الله عنه - قال: استكثروا من الطواف بهذا البيت ما استطعتم من قبل أن يُحال بينكم وبينه، فكأني أنظر إليه أصعل، أصمع، يهدمها بمسحاته[2].

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله (ﷺ): "كأني به أسود أفحج[3] يقلعها حجرًا حجرًا".

وعن سعيد بن سمعان، أنه سمع أبا هريرة - رضي الله عنه - يحدّث أبا قتادة - رضي الله عنه - قال: إن رسول الله (ﷺ) قال: " يُبايع لرجل ما بين الركن والمقام، ولن يستحِلَّ البيتَ إلا أهلُه، فإذا استحلُّوه فلا تسأل عن هلكة العرب، ثمّ تأتي الحبشة فيخربونه خرابًا لا يعمر بعده أبدًا، وهم الذين يستخرجون كنزه "[4].

---

(١) البخاري (١٥٩١). (٢) أخبار مكة للفاكهي (٣١٣). (٣) الفحج: تباعد ما بين الساقين.

(٤) المسند (٢/ ٢٩١) والحاكم (٤/ ٤٥٢) ومجمع الزوائد (٣/ ٢٩٨) واللفظ لأحمد.

يُخَرِّبُ الكَعبَةَ ذُو السُّوَيقَتَينِ مِنَ الحَبَشَةِ

وهذا الحديث لا يتناقض مع حديث عائشة، قـال النبي (ﷺ): "يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأَرضِ يُخسَفُ بأولهم وآخرهم"[1]. يقول ابن حجر في كتابه (فتح الباري) باب هدم الكعبة: إن فيه إشارة إلى أن غزو الكعبة سيقع، فمرة يهلكهم الله قبل الوصول إليها، وأخرى يمكِّنهم. والظاهر أن غزو الذين يخربونه متأخر عن الأولين[2].

ولا يقال: إن الله حبس عن مكة الفيل ولم يُمكِّن أصحابَه من تخريب الكعبة، ولم تكن إذ ذاك قبلة، فكيف يسلط عليها الحبشة بعد أن صارت قبلة للمسلمين؟ لأن ذلك محمول على أنه يقع في آخر الزمان، قرب قيام الساعة، حيث لا يبقى في الأرض أحد يقول: الله، الله، كما ثبت في صحيح مسلم: "لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله"[3] ولهذا وقع في رواية سعيد بن سمعان: "لا يعمر بعده أبدًا".

---

(١) البخاري (٢١١٨). (٢) فتح الباري كتاب الحج باب هدم الكعبة. (٣) مسلم (١٤٨).

سدانة الكعبة

كان عمر بن الخطاب يقول لقريش:

إنه كان ولاة هذا البيت قبلكم طَسْمٌ، فاستخفوا بحقه، واستحلوا حـــرمته، فأهلكهم الله - عزّ وجلّ - ثمّ وَلِيَتْه بـــعدهم جُرْهُمُ، فاستخفّوا بحقه، واستحلّوا حرمته، فأهلكهم الله -عزّ وجلّ - فلا تهاوَنوا به وعظِّمُوا حُرمَتَهُ"[1].

قال أهل السير: لما استخفت جرهم بحقه شردهم الله تعالى، وَوِلِيَته خزاعة، ثمّ ولي بعد خزاعة قُصيٌّ بن كلاب، وولي حجابة الكعبة وأمر مكة، ثم أعطي ولده عبدالدار السدانة، وهي الحجابة ودار الندوة واللواء، وسميت دار الندوة لاجتماع النَّديِّ فيها، يجلسون لإبرام أمورهم ومشاورتهم، وأعطي عبدمناف السقاية والرِّفادة، ثم جعل عبدالدار الحجابة إلى ابنه عثمان، ولم يزل الأمر ينتقل إلى الأولاد حتى ولي الحجابة عثمان بن طلحة. قال عثمان: كنا نفتح الكعبة يوم الاثنين والخميس، فجاء رسول الله (ﷺ) يومًا يريد أن يدخل مع الناس فنِلتُ منه، وحـلُم عني، ثم قال: "ياعثمان لعلك سترى هذا المفتاح يومًا بيدي أضعه حيث

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل (٢،٥٠/٤٩) وعبدالرزاق (٩١٠٧).

شئت". فقلت: لقد هلكت قريش يومئذ وذَلّت. قال: "بل عزّت". ودخل الكعبة، ووقعت كلمته مني موقعًا ظننت أن الأمر سيصير إلى ما قال؛ وأردت الإسلام، فإذا قومي يَزبَرونِّي[1] زبرًا شديدًا، فلما دخل رسول الله (ﷺ) مكة عام القضية، غيَّر الله قلبي، ودخلني الإسلامُ، ولم يُعزَم لي أن آتيه حتى رجع إلى المدينة، ثم عُزِم لي الخروج إليه، فأدلجت فلقيت خالد بن الوليد، فاصطحَبْنا، فلقينا عمرو بن العاص، فاصطَحَبنا، فقدمنا المدينة فبايعته، وأقمت معه (ﷺ) حتى خرجت معه في غزوة الفتح، فلما دخل مكة قال: "ياعثمان ائت بالمفتاح".

فأتيته به، فأخذه مني، ثم دفعه إليّ، ثم قال: "خذوها يابني طلحة خالدة تالدة[2] لا ينزعها منكم إلا ظالم".

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: لما طلب رسول الله (ﷺ) المفتاح من عثمان، فهَمَّ أن يناوله إياه، فقال له العباس - رضي الله عنه - بأبي أنت وأمي، اجْمَعْه لي مع السقاية، فكفَّ عثمان يدَه مخافة أن يعطيه العباس بن عبدالمطلب، فقال النبي (ﷺ) : "هات المفتاح" فأعاد العباس قوله وكف عثمان، فقال النبي (ﷺ) : "أرني المفتاح إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر".

---

(١) يزجرونني.

(٢) تالد: قديم.

فقال: هاك يارسول الله، بأمانة الله، فأخذ المفتاح، وفتح البيت، فنزل جبريل عليه السلام بقوله:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

ثم لم يزل عثمان يلي فتح البـــيت إلى أن تُوُفِّي، فدفع ذلك إلى شيبة بن عثمان بن أبي طلحة وهو ابن عمه، فبقيت الحجابة في ولد شيبة - رضي الله عنهم -[1].

---

(١) مثير الغرام الساكن - باب سدانة الكعبة.

كسوة الكعبة

إن تاريخ كسوة الكعبة جزء لا يتجزأ من تاريخ الكعبة نفسها، والاهتمام بكسوة الكعبة يعكس مدى اهتمام المسلمين بها وتقديسها وتشريفها ويبين مكانتها الرفيعة في نفوسهم.

الكسوة قبل الإسلام:

قال محمد بن إسحاق : بلغني عن غير واحد من أهل العلم أن أول من كسا الكعبة كسوة كاملة تُبَّعٌ - وهو أسعد الحِميري - أُرِيَ في النوم أنه يكسوها فكساها الأنطاع[1] ، ثمّ أُرِيَ أن يكسوها فكساها الوصايل ثياب حبرة[2] من عصب اليمن[3]. وبعد تُبَّع كساها كثيرون في الجاهلية، وكان ذلك يعتبر واجبًا دينيًّا، وكان مباحًا لمن أراد أن يكسو الكعبة أن يكسوها متى شاء، ومن أي نوع شاء، وكانت الكعبة تكسى بأنواع مختلفة من الكسى منها: الخصف، والمعافر، والملاء، والوصائل، والعصب[4].

---

(١) الأنطاع: جمع نطع وهو بساط من الأديم أي الجلد. (٢) الوصائل: ثياب حمر مخططة يمانية، والحِبرة: هو ما كان من البرود مُخططًا. (٣) أخبار مكة للأزرقي (١/٢٤٧). (٤) الخصف: جمع خصفة، وهي الثوب الغليظ، المعافر: اسم بلد سميت به الثياب المعافرية، الملاء: جمع ملاءة وهي ثوب لين رقيق، العصب: ثياب يمانية موشاة بالقصب.

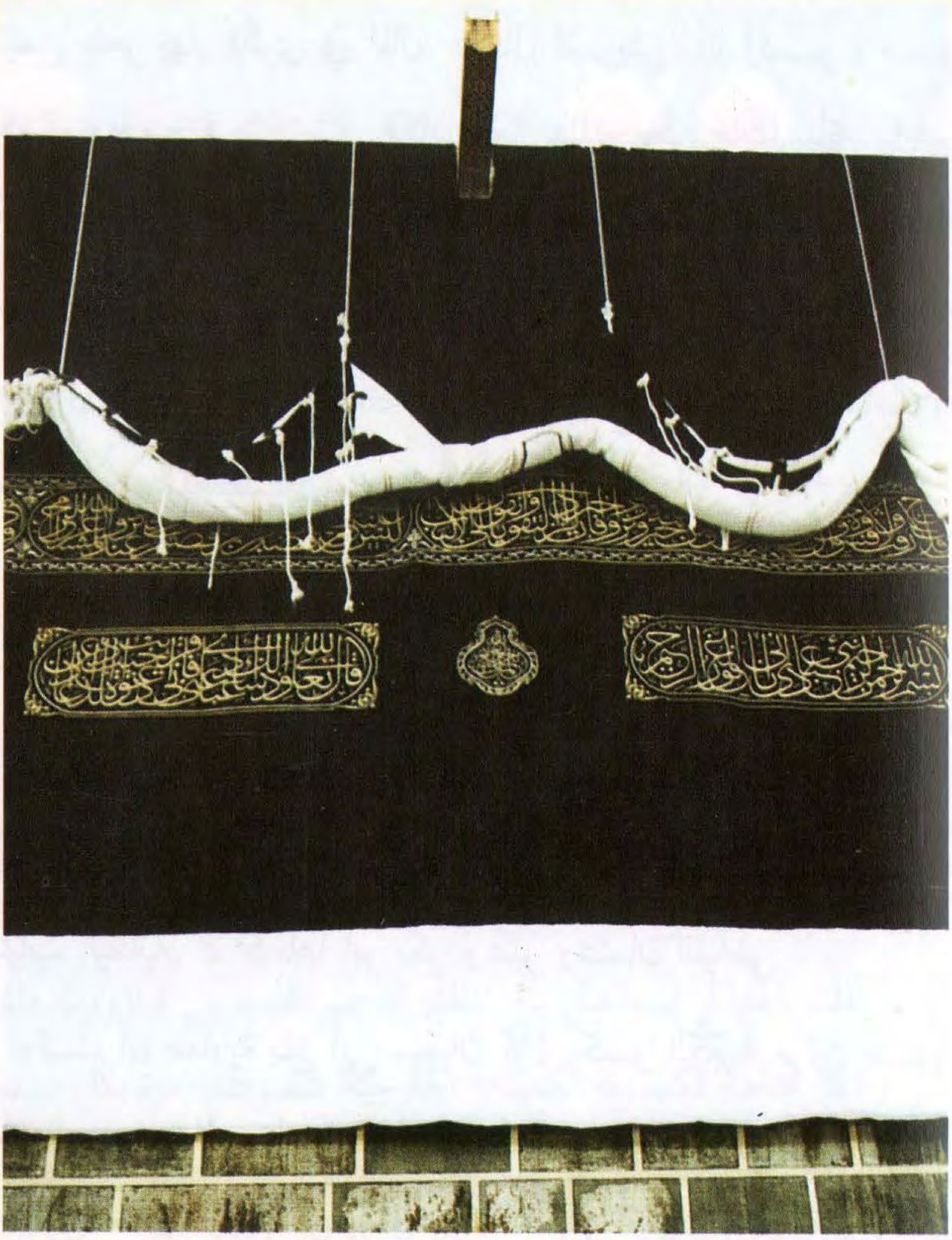

الكعبة وقد بدت عليها كسوتها متقنة الصنع

وكانت الكُسى توضع على الكعبة فوق بعض فإذا ثقلت أو بليت أزيلت عنها، وقسمت أو دفنت.

وكانت قريش في الجاهلية تُرافِد في كسوة الكعبة، فيضربون ذلك على القبائل بقدر احتمالها من عهد قصي بن كلاب، حتى نشأ أبو ربيعة بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، وكان يختلف إلى

اليمن يتجر بها، فأثرى في المال. فقال لقريش: أنا أكسو وحدي الكعبة، وجميع قريش سنة، فكان يفعل ذلك حتى مات، يأتي بالحبرة الجيدة من الجَنَد[1] فيكسوها الكعبة، فسمته قريش العدل، لأنه عدل فعله بفعل قريش كلّها، فسموه العدل ويقال لولده: بنو العدل[2].

وأول عربية كست الكعبة الحرير والديباج: نُتيلة بنت جناب، أم العباس بن عبدالمطلب.

كسوة الكعبة في الإسلام:

لم يكسُ رسول الله (ﷺ) وصحابته الكعبة قبل الفتح، لأن الكفار ما كانوا يسمحون بذلك، وعندما تمّ فتح مكة لم يغير رسول الله (ﷺ) كسوة الكعبة حتى احترقت على يد امرأة تريد تبخيرها، فكساها الثياب اليمانية، ثم كساها أبو بكر وعمر وعثمان القُباطي[3].

وثبت أن معاوية بن أبي سفيان كان يكسو الكعبة مرتين سنويًا: بالديباج يوم عاشوراء، وبالقباطي في آخر شهر رمضان، ثم كساها يزيد بن معاوية وابن الزبير وعبدالملك بن مروان بالديباج، وكانت الكعبة تكسى في كل سنة كسوتين: كسوة ديباج، وكسوة قباطي، فأما الديباج فتكساه يوم التروية فيعلّق القميص، وأما الإزار وهو من الديباج أيضًا فيعلق يوم عاشوراء بعد ذهاب الحاج لئلا يخرقوه. ولا تزال كسوة الديباج عليها إلى يوم سبع وعشرين من رمضان فتكسى القباطي للفطر.

---

(١) بلد باليمن. (٢) أخبار مكة للأزرقي (١/ ٢٤٩). (٣) القباطي جمع قُبطية: ثوب رقيق أبيض من مصر.

وفي عهد المأمون أصبحت الكعبة تكسى ثلاث كِسى: الديباج الأحمر يوم التروية، والقباطي يوم هلال رجب، والديباج الأبيض يوم سبعة وعشرين من رمضان. ولما عرف المأمون أن الديباج الأبيض ينخرق أيام الحج جعل كسوة رابعة بيضاء يوم التروية، ثم كساها الناصر العباسي ثوبًا أخضر ثم ثوبًا أسود ومنذ ذلك اليوم احتفظ باللون الأسود.

وأول من كسا الكعبة من الملوك بعد انقضاء دولة بني العباس الملك المظفّر صاحب اليمن سنة (٦٥٩هـ) واستمر يكسوها عدة سنين مع ملوك مصر. وأول حاكم مصري سعى إلى كسوتها بعد العباسيين الملك الظاهر بيبرس البُنْدُقْداري سنة (٦٦١هـ).وفي عام (٧٥١هـ) أوقف الملك الصالح إسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ملك مصر وقفًا خاصًّا لكسوة الكعبة: الخارجية السوداء، مرة كل سنة، وكسوة خضراء للحجرة النبوية الشريفة مرة كل خمس سنوات، ولكن الخديوي "محمد علي" حل ذلك الوقف في أوائل القرن الثالث عشر الهجري، وأصبحت الكسوة تصنع على نفقة الحكومة، اختصت تركيا ومن يتولى السلطة من آل عثمان بكسوة الكعبة الداخلية.

وفي عام (٨١٠هـ) أُحدثت الستارة المنقوشة التي توضع على واجهة الكعبة، وهي المسماة "البرقع" ثم انقطعت ما بين سنتي (٨١٦هـ و٨١٨هـ) ثمّ استؤنفت عام (٨١٩هـ) حتى الآن.

الكسوة في العهد السعودي

اهتمَّ الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود - رحمه الله - برعاية الحرمين الشريفين، وانطلاقًا من هذا الاهتمام أمر الملك سعود ابن عبدالعزيز- رحمه الله - بإنشاء دار خاصة لعمل كسوة الكعبة

المعظمة في مكة المكرمة، وتم توفير كل ما يحتاج إليه العمل.

ورغبة في إتقان العمل وإظهاره بالصورة التي تتلاءم مع قدسية الكعبة المشرفة صدر أمر جلالة المغفور له الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله - عام (١٣٨٢هـ) بتجديد مصنع الكسوة وفي عام

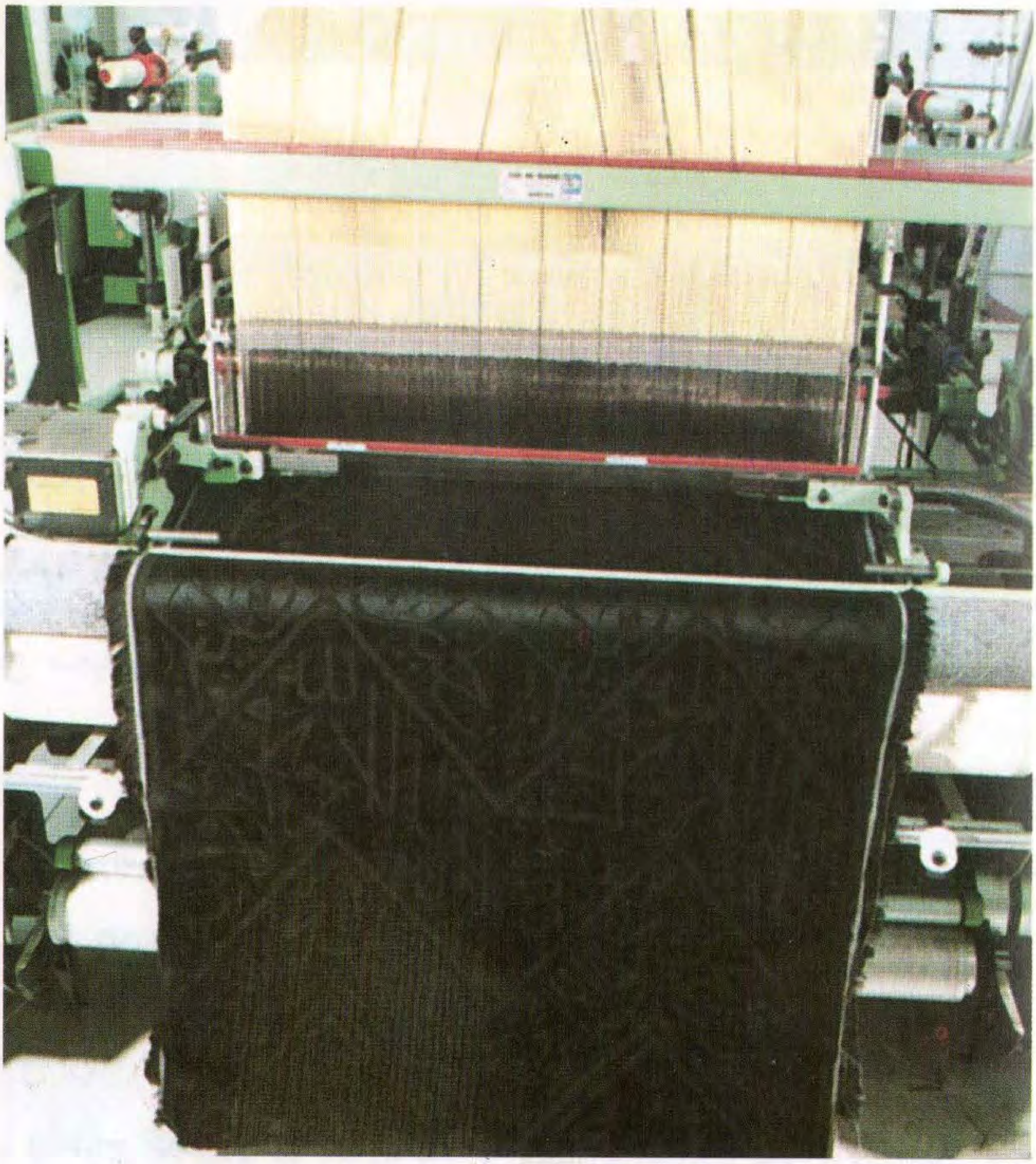

آلات المصنع تحول الحديد الطبيعي إلى نسيج لكسوة الكعبة

(١٣٩٧هـ) تمَّ افتتاح المبنى الجديد بـ (أم الجود) في مكة المكرمة، وزود بآلات حديثة لتحضير النسيج، وأُحدث قسم النسيج الآلي مع الإبقاء على أسلوب الإنتاج اليدوي، لما له من قيمة فنية عالية، ومازال المصنع يواكب عجلة التطور، ويحافظ على التراث اليدوي العريق، لينتج كسوة الكعبة في أبهى صورها[1] .

(١) من كتاب: (مصنع كسوة الكعبة المشرفة).

مقام إبراهيم وفضله

وهو الحَجر الذي وقف عليه إبراهيم - عليه السلام - عند بناء الكعبة، ولما كان هذا الأمر من أحبّ الأعمال إلى الله تعالى جعل أثر قدميه عليه ذكرى للمؤمنين من ذريته وعبرةً لهم ولغيرهم. وقد صحّ عن سعيد بن جبير أنه قال: الحجر مقام إبراهيم، ليّنه الله، قد جعله رحمة، فكان يقوم عليه، ويُناوِله إسماعيل الحجارةَ[1].

وعن أنس قال: قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وافقت ربي في ثلاث قلت: يارسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة:١٢٥] الحديث.[2]

وأخرج الطبري في تفسيره من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في هذه الآية: إنما أمروا أن يصلوا عنده، ولم يؤمروا بمسحه. قال: ولقد ذكر لنا من رأى أثر عقبه وأصابعه فيها، فما زالوا يمسحونه حتى اخلولق وانمحى.

وكان المقام من عهد إبراهيم لزق البيت إلى أن أخره عمر - رضي الله عنه - إلى المكان الذي هو فيه الآن. أخرجه عبدالرزاق في مصنفه

---

(١) مثير الغرام الساكن (ص٣١٢). (٢) البخاري (٤٤٨٣).

بسند صحيح عن عطاء وغيره وعن مجاهد أيضًا، وأخرج البيهقي عن عائشة مثله بسند قوي ولفظه: إن المقام كان في زمن النبي (ﷺ) وفي زمن أبي بكر ملتصقًا بالبيت ثم أخّره عمر ، ولم تنكر الصحابة فعل عمر ولا من جاء بعدهم فصار إجماعًا.

وكان عمر رأى أن إبقاءه يلزم منه التضييق على الطائفين أو على المصلين فوضعه في مكان يرتفع به الحرج، وتهيأ له ذلك لأنه الذي كان أشار باتخاذه مصلى[1].

---

(١) فتح الباري شرح الحديث (٤٤٨٣).

الحِجر

يدل كثير من الأحـاديث على أن الحِجر من البـيت، فيدخل تحت قوله: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]

فعلى هذا يلزم الطواف بالحجر، فإن تَركَه في طوافه لم يجزئه.

والحِجر هو المكان الذي أنزل فيه إبراهيم - عليه السلام - زوجته هاجر وابـنه إسماعيل عندما قـدم بهما إلى مكة، وأمر هاجر أن تتخذ فيه عريشًا، وقـد أدخلت قـريش جزءًا من الكعبـة في الحِجر لقـصر النفقة التي أعدوها لعمارتها. وعندما تمكن عبدالله بن الزبير من مكة هدم الكعبة وعمَّرها وأدخل فيها ما أخرجته قـريش في الحجر، ولكن الحَجاج - بعد مقتل ابن الزبير - أعاده إلى الحجر وبنى الجدار على أساس قـريش وهو بـاقٍ إلى الآن، فصار بـعض الحجر من الكعبـة وبعضه ليس منها، ومن الحجة على ذلك حديث عائشة ـــ رضي الله عنها - ونص الحديث: "لولا أن قـومكِ حـديث عهد بشـرك - أو بجاهلية - لهدمت الكعبة، فألزقتها بـالأرض وجعلت لها بابـين: بـابًا شرقـيًّا، وبـابًا غربـيًّا وزدت فيها من الحجر سـتة أذرع، فإن قـريشًا اقتصرتها حين بنت الكعبة"[1]. قال ابن عمر - رضي الله عنهما -

(١) مسند أحمد (٦/ ١٧٩).

لئن كانت عائشـة - رضي الله عنها - سمعت هذا من رسـول الله (ﷺ) ما أرى رسول الله (ﷺ) ترك استلام الركنين اللذين يليان الحِجر إلا أنْ البيت لم يُتمّم على قواعد إبراهيم[1] .

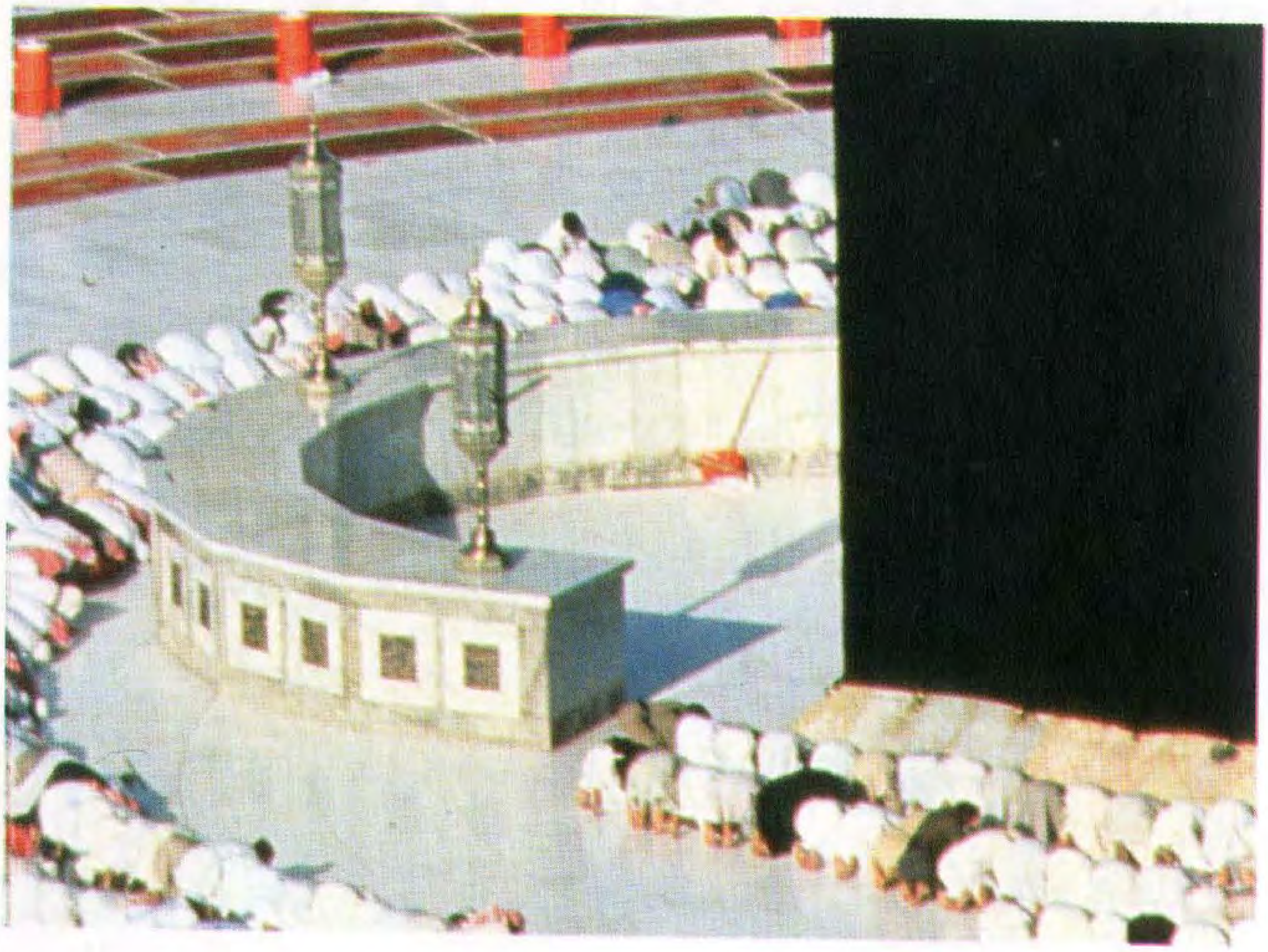

وذكر كثير من العلماء أن إسماعيل - عليه السـلام - دُفِن في الحِجْر عند قـبر أمه هاجر. والروايات الواردة في هذا البـاب كلها ضعيفة، لا يصحّ منها شـيء، ويدلّ على نكارتها أن كبـار الصحابـة شهدوا بناء قريش وحفر أساس الكعبة آنذاك، ولم يحدّث أحد منهم أنه رأى أثر قبْر، ولوكان ذلك ثابتا لما جاز لنا أن نطأ موضع القـبر، لأن النبي (ﷺ) نهى عن وطء القبور والقعود عليها.

(١) البخاري: (١٥٨٣).

وفي أكثر من حديث أن من دخل الحجر كأنما دخل البيت، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت:

كنت أحِبُّ أن أدخل البيت فأصلي فيه، فأخذ رسول الله (ﷺ) بيدي فأدخلني الحجر فقال: "إذا أرَدت دخول البيت فصلي هاهنا، فإنما هو قطعة من البيت، ولكن قومك اقتصروا حيث بنوه"[(١)].

وعن عبدالحميد بن جبير عن عمَّته صفية بنت شيبة قالت: حدثتنا عائشة -رضي الله عنها - قالت: قلت يارسول الله، ألا أدخل البيت؟ قال: "ادخلي الحِجْر، فإنه من البيت"[(٢)].

وقد صحَّ عن ابن عباس أنه قال: صلوا في مصلى الأخيار واشربوا من شراب الأبرار. قيل لابن عباس: ما مصلى الأخيار؟ قال: تحت الميزاب. قيل: وما شراب الأبرار؟ قال: ماء زمزم[(٣)].

وهذا يدل على فضل الصلاة في الحجر . أما ما رُوِيَ عن عطاء أنه قال: من قام تحت ميزاب الكعبة فدعا استجيب له وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه[(٤)] . فهو ضعيف لا تقوم به حجة. ومثل هذا القول من الأمور الغيبية، ولم يُسند إلى النبي (ﷺ) أو إلى أحدٍ من الصحابة.

---

(١) النسائي (٢٩١٥). (٢) النسائي (٢٩١٤). (٣) أخرجه الأزرقي في تاريخ مكة (١/ ٣٣٢).

(٤) مثير الغرام (ص٢٦٩) ونسبه إلى الأزرقي وقال: فيه عثمان بن ساج.

فضل الحجر الأسود

هناك كثير من الأحاديث التي تؤكد فضل الحجر الأسود والحض على استلامه وتقبيله في الطواف، ويكفيه فضلاً أنْ مسته يد النبي (ﷺ) وقبَّله فمه الشريف.

ففي الصحيحين: "أن عمر بن الخطاب قبّل الحجر الأسود وقال: إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسولَ الله (ﷺ) يُقبِّلك ما قبَّلتك"[1].

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله (ﷺ) : "نزل الحجَر الأسود من الجنَّة وهو أشد بياضًا من اللبن، فسودته خطايا بني آدم"[2].

وعن ابن عباس أيضًا قال: قال رسول الله (ﷺ) في الحَجَر: "والله لَيَبْعَثَنَّهُ الله يوم القيامة له عينان يُبصرُ بهما ولِسَانٌ يَنْطقُ به يشهدُ على من استلمه بحقٍّ"[3].

وقال مسافع بن شيبة: سمعت عبدالله بن عمرو بن العاص قال: أشهد بالله ثلاثًا - ووضع أصبعيه على أذنيه - سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: "إن الحجر والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنَّة طمَس الله

(١) أخرجه البخاري (١٥٩٧) ومسلم (١٢٧٠). (٢) الترمذي (٨٧٧). (٣) الترمذي (٩٦١).

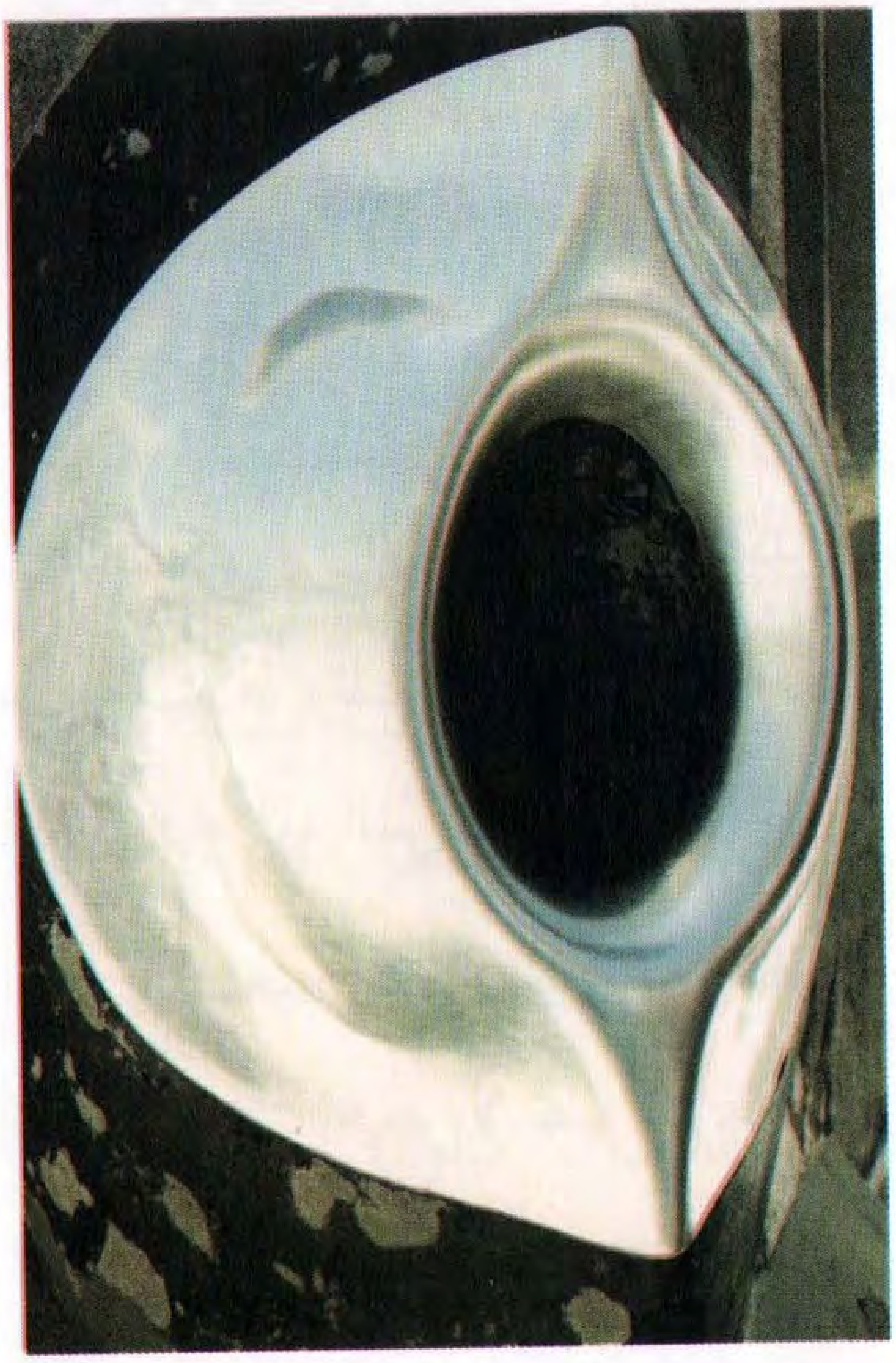

نورهمـــا، ولـــولا أن الله طمس نورهما لأضاءتا ما بـين المشـرق والمغرب"[1].

وبنى إبراهيم الكعبة وبقي حجر، فذهب الغلام يبغي شـيئًا، فقــال إبــراهيم: ابغني[2] حجرًا كما آمرك. قال: فانطلق الغلام يلتمس له حجرًا، فأتاه بـه فوجده قـد ركب الحجر الأسـود في مكانه، فقــال: يا أبهْ، من أتاك بهذا الحجر؟ فقـال: أتاني بــه من لم يتّكل على بنائك، جاء به جبريل - عليه السلام - من السماء"[3].

وعن عبدالله بـن عمر - رضي الله عنهما - أنه اسـتلم الحَجر، ثم قَبَّل يده، وقال: ما تركته منذ رأيت رسول الله يُقبِّله"[4].

---

(١) مسند أحمد (٢/ ٢١٤) وصحيح ابن خزيمة (٢٧٣٢). (٢) ابغني الشـيء: أي أعني على طلبـه وهو تعبير شاذ من (ابتغى). (٣) جزء من حديث عن علي رضي الله عنه، تفسير ابن كثير (١/ ٢٥٨) وتفسير الطبري (١٤٣) وهو موقوف على علي، ولكن له حكم الرفع. (٤) صحيح مسلم (١٢٦٨).

بئر زمزم

وقصة حفرها وتدفقها خيرًا وبركةً للناس معروفة مشهورة.

جاء إبراهيم بأم إسماعيل وإسماعيل، وهي ترضعه حتى وضعها عند دوحة[1] فوق زمزم، وليس بمكة زرع لأحد، وليس بها ماء، ووضع عندهما جرابًا فيه تمر وشنًّا[2] فيه ماء، ثم قفا[3] منطلقًا، فتبعته أم إسماعيل فقالت: أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارًا، وجعل لا يلتفت إليها.

فقالت له: آلله أمرك بهذا؟

قال: نعم.

قالت: إذًا لا يضيعنا الله.

ثم رجعتْ، فانطلق إبراهيم، حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه وقال:

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

---

(١) دوحة: شجرة كبيرة. (٢) الشن: القربة القديمة، والقديمة أشد تبريدًا للماء من الجديدة.

(٣) قفا: ذهب موليًا.

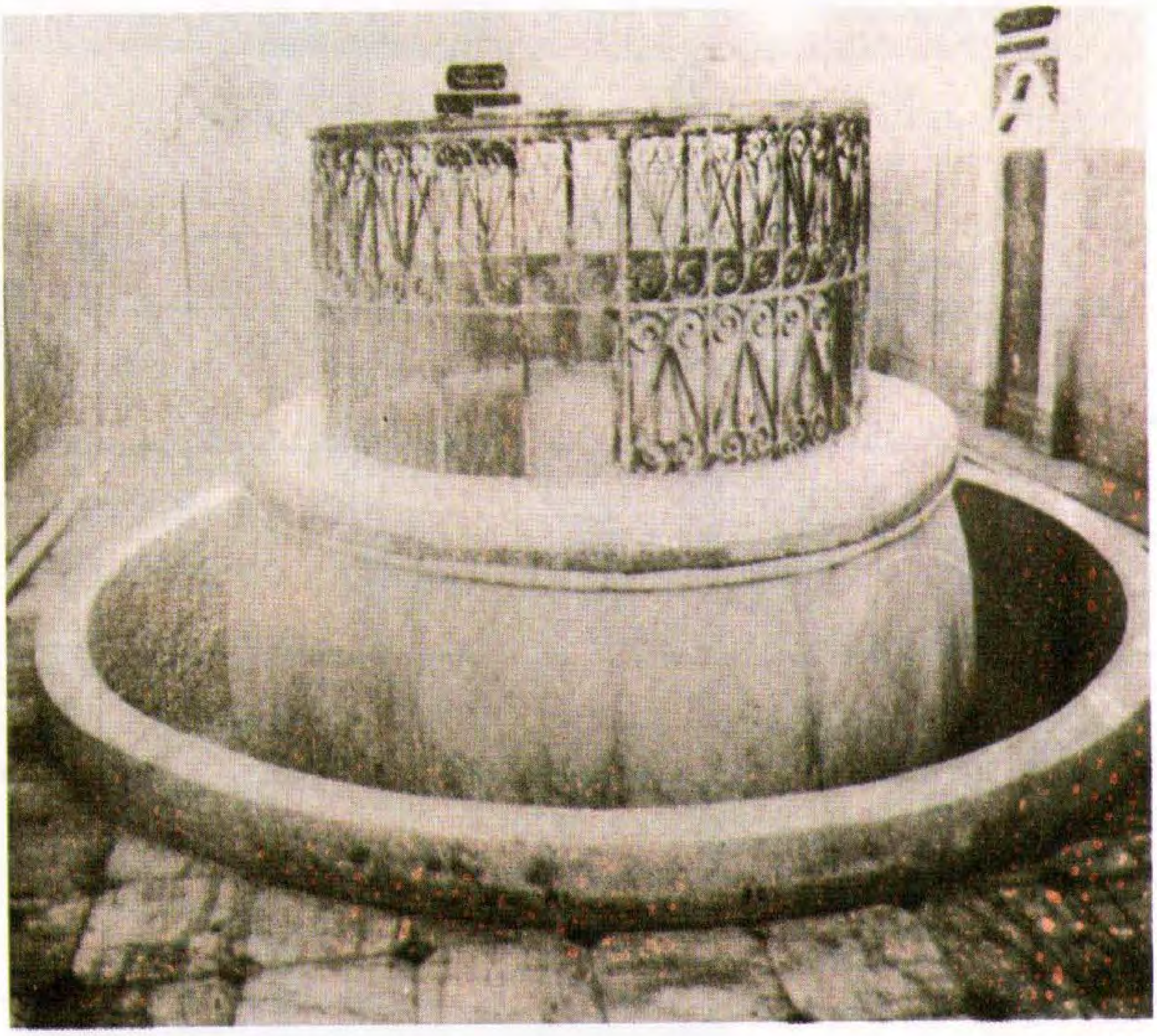

وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشـــرب من ذلك الماء، حـتى إذا نفد وعطش ابـنها، وجعلت تنظر إليه يتلوّى - أو قـال: يتلبَّط[١] - فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبـل في الأرض يليها، فقامت عليه فاستقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدًا، فلم تر أحـدًا، فانهبـطت من الصفا، حـتى إذا بـلغت الوادي رفعت طرف درعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود[٢] حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقـامت عليها، ونظرت هل ترى أحـدًا فلم تر أحـدًا، ففعلت ذلك سبع مرات.

قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: قال النبي (ﷺ): "ولذلك

(١) يتلبط: يتمرغ ويضرب نفسه بالأرض. (٢) المجهود: المتعب.

سعى الناس بينهما'' فلما أشرفت على المروة سمعت صوتًا فقالت: صه[1] تريد نفسها، ثم تسمَّعت فسمعت أيضًا.

فقالت: قد أسمعْتَ إن كان عندك غواث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه أو قال: بجناحه حتى أظهر الماء، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يغور بعدما تغرف قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : قال النبي (ﷺ): ''لو تركت زمزم أو قال: لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينًا معينًا'' فشربت وأرضعت ولدها.

فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة، فإن هاهنا بيتَ الله - عز وجل - يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله[2].

اندثار زمزم:

ثم إن زمزم قد اندثرت وزال أثرها بمرور الأيام وتتابع الليالي.

يقول ياقوت الحموي في معجم البلدان: وتطاولت الأيام على ذلك حتى غوَّرت تلك السيول وعفَتْها الأمطار، فلم يبق لزمزم أثر يعرف.

والصحيح أن جرهم هم الذين دفنوها حينما تركوا مكة وذهبوا عنها.

عبدالمطلب يعيد حفر زمزم:

وظلت زمزم مدثورة مجهولة المكان حتى ولي عبدالمطلب سقاية البيت ورفادته، فأتي في منامه، فقيل له: احفر طيبة.

---

(١) صه: اسكت. (٢) فتح الباري (٣٣٦٤).

قال: وما طيبة؟

فأتي من الغد فقيل له: احفر برة.[1]

قال: وما برة؟

فأُتي من الغد فقيل له: احفر المضنونة.[2]

فقال: وما المضنونة؟

فقيل له: احفر زمزم.

قال: وما زمزم؟

قال: لا تنزح[3] ولا تذم، تسقي الحجيج الأعظم وهي بين الفرث والدم، عند نقرة الغراب الأعصم[4]، وهي شرف لك ولولدك.

(١) سميت برة لكثرة منافعها. (٢) سميت كذلك لأنها ضن بها على غير المؤمنين. (٣) لا يفنى ماؤها. (٤) الذي في جناحيه بياض.

وكان الغراب الأعصم لا يبرح عند الذبائح مكان الفرث والدم، فغدا عبدالمطلب بمِعولة ومسحاة ومعه ابنه الحارث، وليس له يومئذ ولد غيره، فجعل يحفر ثلاثة أيام حتى بدا له الطوى[1]، فكبر وقال: هذا طوى إسماعيل.

فقالت له قريش: أشركنا فيه .فقال: ما أنا بفاعل، شيء خُصِّصتُ به دونكم، فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه. فقالوا: كاهنة بني سعد.

فخرجوا إليها، فعطشوا في الطريق حتى أيقنوا الموت.

فقال عبدالمطلب: والله! إن إلقاءنا بأيدينا هكذا العجز، ألا نضرب في الأرض فعسى الله أن يرزقنا ماء، فارتحلوا، وقام عبدالمطلب إلى راحلته فركبها، فلما انبعثت به انفجر تحت خُفها عينُ ماءٍ عذْبٍ، فكبّر عبدالمطلب، وكبر أصحابه، وشربوا جميعًا.

وقالوا له: قد قضى لك علينا الذي سقاك، فوالله! لا نخاصمك فيها أبدًا، فرجعوا وخلوا بينه وبين زمزم[2].

أسماؤها:

لزمزم أسماء كثيرة، وكثرة الأسماء تدل على عظم المسمى، قيل: إنها سميت زمزم لكثرة مائها، والزمزمة عند العرب الكثرة والاجتماع، وقيل: سميت زمزم لأنها زُمت بالتراب لئلا يأخذ الماء يمينًا وشمالاً،

---

(١) الطوى: البئر. (٢) راجع مثير الغرام ص (٣١٩-٣٢١) وأخرجه ابن إسحاق في مغازيه (١/ ٢٤) ومن طريقه الأزرقي في أخبار مكة (٢/ ٤٦) والبيهقي في الدلائل (١/ ٩٣-٩٤).

ولو تركت لساحت على الأرض حتى تملأ كل شيء، ومن أسمائها غير زمزم: الشبّاعة، برّة، طيبة، بُشرى، عَونـــة، صافية، شراب الأبرار، ومَضنونة وهناك أسماء غير هذه.

ماء زمزم وفضله:

جاء كثير من الأحـــاديث والآثار التي تؤكد أفضليتها، ومما يؤكد أفضليتها أن جبريل عندما شق صدر رسول الله (ﷺ) غسل قلبه بماء زمزم، فلو كان هناكِ ماء أفضل منه لغسل به قلب المصطفى (ﷺ).

قال أبـو ذر الغفاري: إن رسـول الله (ﷺ) قـال: "فُرج عن سقـف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل - عليه السلام - فَفَرج صدري، ثمّ غسـله بماء زمزم، ثمّ جاء بطســـت من ذهب ممتلىءٍ حـــكمة وإيمانًا فأفرغها في صدري، ثمّ أطبقه، ثمّ أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء الدنيا"[1].

وفي حديث آخر عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: إن رســـول الله (ﷺ) أتاه جبريل - عليه الســـلام - وهو يلعب مع الصبيان، فأخذه فصرعه، فاستخرج القلب، ثمّ شق القلب، فاستخرج منه علَقةً فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله بماء زمزم، ثمّ لأَمَهُ، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يســـعون إلى أمه - يعني ظِئرَه - فقـالوا: إن محمدًا قـد قُتل، فاستقبـلوه وهو منتقـع لونه. قـال أنس - رضي الله عنه - لقد كنت أرى أثر المِخْيَط في صدره (ﷺ)[2].

(١) رواه البخاري (٣٣٤٢). (٢) رواه أحمد (٣/٢٨٨) والنسائي (١/٢٢٤).

وعن أفضليته يقول ابن عباس - رضي الله عنهما - : قال رسول الله (ﷺ): "خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم، وفيه طعام من الطُّعم وشفاء من السُّقم. وشر ماء على وجه الأرض ماء بوادي بَرَهُوت بحضرموت، عليه كرِجلِ الجراد من الهوامِّ، يصبح يتدفق ويمسي لا بَلال فيه"[1]. وقال مجاهد: ما رأيت ابن عباس - رضي الله عنهما - أطعم ناسًا قطُّ إلا سقاهم من ماء زمزم[2]. وقال أيضًا: كان ابن عباس -رضي الله عنهما - إذا نزل به ضيفٌ أتحفه من ماء زمزم[3].

ومن أفضليتها أن رسول الله (ﷺ) جعل التضلّع من مائها براءةً من النفاق.فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: إن رسول الله (ﷺ) قال: " آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلّعون من ماء زمزم"[4].

فائدة: ويستحب منه الوضوء ونحوه فعن جابر - رضي الله عنه -:"أن النبي (ﷺ) دعا بسجل من ماء زمزم، فشرب منه وتوضأ"[5]. وله عند أحمد:"أن النبي (ﷺ) رمل ثلاثة أطواف من الحجر إلى الحجر، وصلى ركعتين، ثم عاد إلى الحجر، ثم ذهب إلى زمزم فشرب منها وصب على رأسه". الحديث[6].

---

(١) الطبراني في الكبير (١١١٦٧) وقال في المجمع: رجاله ثقات (٣/٢٨٦). (٢) أخبار مكة للفاكهي (١١١٧). (٣) أخبار مكة للفاكهي (١١١٨). (٤) الدارقطني (٢/٢٨٨) والبيهقي (٥/١٤٧) رجاله ثقات كما قال البوصيري لكن فيه اضطراب واختلاف على عثمان في تسمية شيخيه وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه (٥٩٧) وانظر كلامه في الإرواء: (١١٢٥). (٥) حسنه الألباني في إرواء الغليل: (١١٢٤). (٦) أحمد (٣/٣٩٤) وإسناده صحيح على شرط مسلم.

ماء زمزم شفاء

لقد ثبت بالأحاديث الصحاح أن في ماء زمزم شفاء، كما ثبت ذلك بالقصص المتواترة - قديمًا وحديثًا - التي شفَى الله فيها مرضى من عللٍ، بعضُها أعجز الطب ويئس من شفائه الأطباء، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله (ﷺ) قال: "خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم، وفيه طعام من الطُّعم وشفاء من السُّقم" الحديث[1].

وقال رسول الله (ﷺ): "ماء زمزم لما شرب له"[2] فمن شربه استشفاءً شفاه الله تعالى بفضله. قال أبو جمرة: كنت أدفع الناس عن ابن عباس، فاحتبست أيامًا. فقال: ما حبسك؟ قال: الحمى. قال: إن رسول الله (ﷺ) قال: "إن الحمى من فيح جهنم فأبردوها بماء زمزم"[3].

وقال قيس بن كُركُم: قلت لابن عباس - رضي الله عنهما - : ألا تخبرني عن زمزم؟

(١) الطبراني في الكبير (١١١٦٧) وانظر الصحيحة (١٠٥٦). (٢) ابن ماجه (٣٠٦٢). (٣) مسند أحمد (١/ ٢٩١) وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

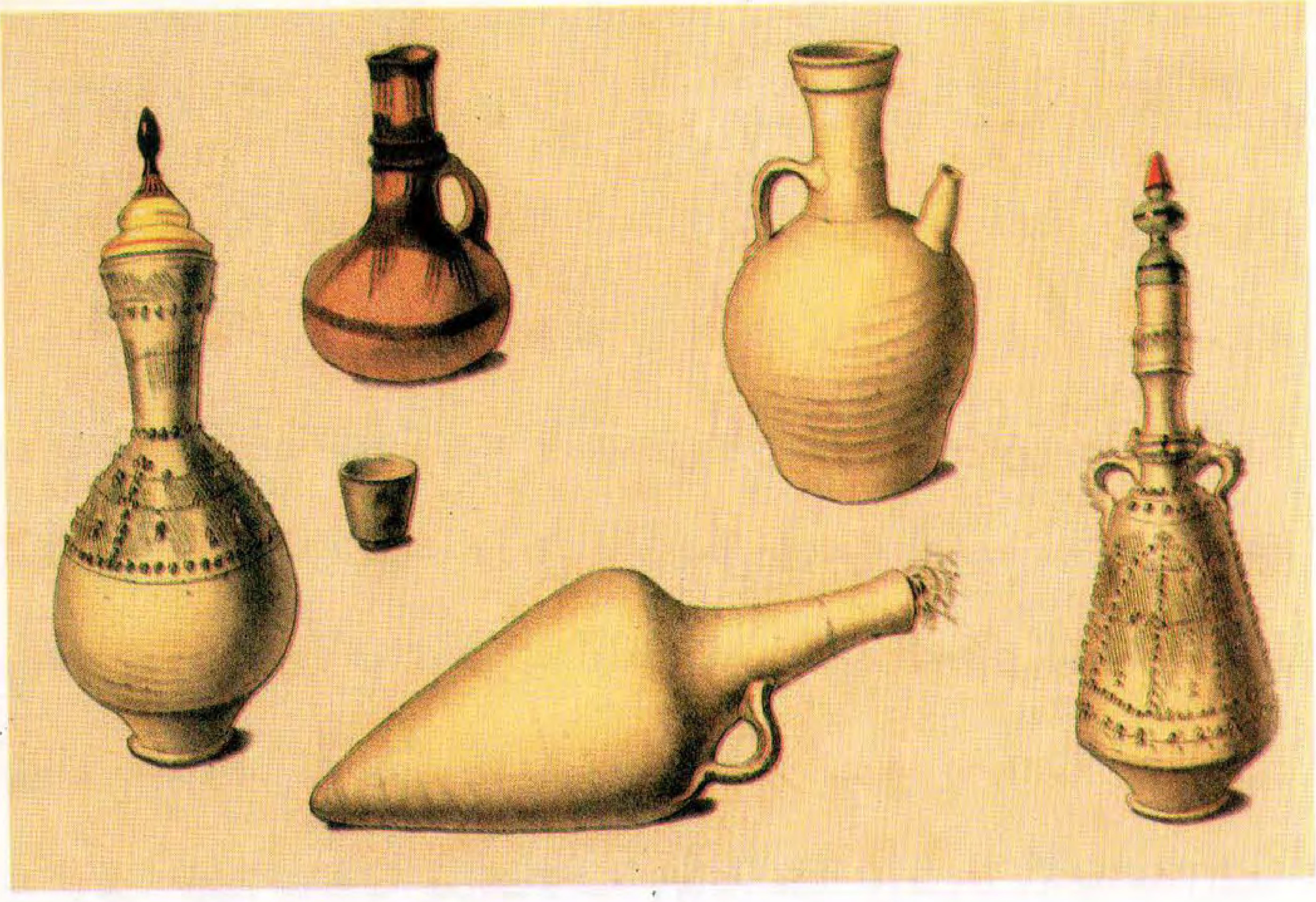

قال: لا تُنزح ولا تُذم، طعام من طُعم، وشفاء من سُقم، وخير ماءٍ نعلم"[1].

وهــي طعــام:

ففي الحديث: "ماءُ زمزم لما شُرِبَ له" وقد اعتمد عليها أبو ذر شهرًا كاملاً لا يدخل بطنه إلا ماء زمزم، فلم يجد سخْفة الجوع على كبده، ففي الصحيح من حديث أبي ذر أنه لما أسلم قال: يارسول الله، أنا هاهنا من بين ثلاثين ليلة ويومًا، قال: "من كان يطعمك؟" قال: ما كان لي طعام إلا ماء زمزم، فسمنت حتى تكسرت عُكَن بطني، وما أجد على كبدي سخفة جوع. قال: "إنها مباركة إنها طَعَامُ طُعْم"[2]..

(١) أخبار مكة للفاكهي (١٠٩٨). (٢) مسلم (٢٤٧٣).

وعن ابن عباس - في زمزم - قال: كنّا نسميها شباعة، نعم العون على العيال[1] .

قصص عن شفاء مرضى بماء زمزم:

هناك عشرات بل مئات القصص عن شفاء مرضى من أمراض يئسَ من علاجها الأطباء، ولكن الله جعل في ماء زمزم شفاءها، وفيما أودعها من أسرار، عودة هؤلاء المرضى إلى عالم العافية، سوف نكتفي بنموذج منها من العصر الحديث:

وهي قصة معروفة معاصرة من زماننا هذا، وبَطَلتُها ما زالت تعيش بيننا تؤكد القصة وتحكي قدرة الله، وصدق رسوله إن "ماء زمزم لما شرب له" وإن ماء زمزم شفاء من سقم وطعام من طعم. إنها قصة (ليلى الحلو) من المغرب، أصيبت ليلى بالسرطان، وكانت غافلة عن ذكر الله، مغرورة بصحتها وجمالها، بعد أن علمت بالمرض ذهبت إلى بلجيكا، فقيل لها: لابد من إزالة الثدي واستعمال أدوية كيماوية تسقط الشعر، وتظهر لحية على الوجه، كما تسقط الأظافر والأسنان، ولكنها رفضت هذا العلاج وطلبت علاجًا خفيفًا وعادت إلى المغرب، ولكن بعد ستة أشهر شعرت بنقص شديد في الوزن، وتغير لونها، وأرهقتها الآلام فتوجهت إلى بلجيكا، فقال الأطباء لزوجها: إن المرض قد عمَّ وأصيبت الرِّئتان، وأنه لا دواء لها الآن، ونصحوه أن يأخذها إلى بلدها لتموت هناك. ولكن زوجها تذكّر شيئًا

(١) مجمع الزوائد (٢٨٦/٣) وعبدالرزاق (١١٧/٥).

قد نسيه، فقد ألهمه الله أن يقوم بزيارة إلى بيت الله الحرام، فتوجه هو وزوجته إلى هناك، بـــكت كثيرًا عندما رأت الكعبـــة ودعت الله ألا يخيب رجاءها، وأن يحير الأطبــاء في أمرها، أخذت ليلى تقـــرأ كتاب الله، وتتضلَّعُ من ماء زمزم، وشَعُرت بالراحة والاطمئنان في بـيت الله، فطلبت من زوجها أن يسمح لها بالبقـاء في الحرم وعدم الرجوع إلى الفندق، فاعتكفت هناك، كان نصفها الأعلى مليئًا بـالأورام والكويرات التي تؤكد أن المرض قـــد عمّ، نصحـــها زميلاتها في الحرم أن توالي غسل نصفها الأعلى بماء زمزم، كانت تخاف أن تلمس أورام جسدها، ولكنها أخيرًا طردت الخوف، وأخذت تمسح جسدها وثديها الذي كان مملوءً ا دمًا وصديدًا بشـــيء من ماء زمزم، وحـــدث ما لم يكن في الحسبـان، كل الكويرات ذهبـت، ولم يعد هناك ألم ولا صديد، لقـد شفاها الله بما أودع من سرٍّ في ماء زمزم، وصدق رسول الله (ﷺ) إذ قال عنه: "فيه طعام من الطعم وشفاء من السقم".

الملتزم

والملتزم يقع بين الركن والباب، فعن مجاهد قال: ما بين الركن والباب الملتزم ومن دعا الله سبحانه وتعالى في الملتزم أجاب الله تعالى دعاءه[1].

عن عبدالله بن عباس- رضي الله عنهما - أنه كان يلزم ما بين الركن والباب وكان يقول : مابين الركن والباب يدعى الملتزم، لايلزم ما بينهما أحد يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه.[2]

ويقول ابن القيم بخصوص وقوفه (ﷺ) بالملتزم: فالذي روي عنه أنه فعله يوم الفتح، ففي سنن أبي داود، عن عبدالرحمن بن أبي صفوان قال: لما فتح رسول الله (ﷺ) مكة، انطلقت فرأيت رسول الله (ﷺ) قد خرج من الكعبة هو وأصحابه وقد استلموا الركن من الباب إلى الحطيم، ووضعوا خدودهم على البيت، ورسول الله (ﷺ) وسطهم[3].

وروى أبو داود أيضًا من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جدّه قال: طفت مع عبدالله، فلما حاذى دبر الكعبة قلت: ألا تتعوذ؟

---

(١) إسناده حسن رواه الأزرقي في تاريخ مكة (٢/٣٦٨). (٢) إسناده حسن رواه البيهقي في الكبرى (٥/١٦٤). (٣) أخرجه أبو داود (١٨٩٨) وفي سنده يزيد بن أبي زياد الهاشمي وهو ضعيف وباقي رجاله ثقات ويشهد له ما بعده فيتقوى.

قال: نعوذ بالله من النار.

ثم مضى حتى استلم الحَجَر، فقام بين الركن والباب، فوضع صدره ووجهه وذراعيه هكذا، وبسطهما بسطًا وقال: هكذا رأيت رسول الله (ﷺ) يفعله[1].

فهذا يحتمل أن يكون في وقت الوداع، وأن يكون في غيره ولكن قال مجاهد والشافعيُّ بعده وغيرهما: إنه يستحب أن يقف في الملتزم بعد طواف الوداع ويدعو الله سبحانه وتعالى[2].

وقد ورد من الأحاديث ما يخبر أن كثيرًا من الصحابة قد كانوا يلتزمونه ويدعون عنده، فعن أبي الزبير قال: رأيت عبدالله بن عمر، وابن عباس، وعبدالله بن الزبير - رضي الله عنهم - يلتزمونه[3].
وعن حنظلة قال: رأيت طاوسًا يستعيذ بين الركن الأسود والباب[4].

وقال عثمان بن الأسود: رأى مجاهد إنسانًا بين الباب والركن، فضرب منكبه - أو قال: ظهره - وقال: الزم الزم. قال مروان في حديثه: قال مجاهد: يدعى ما بين الركن والباب الملتزم فقلّ إنسان يسأل الله شيئًا، ويستعيذ من شيء إلا أعطاه[5].

وعن طارق بن عبدالرحمن قال: طفت مع علي بن الحسين - رضي الله عنهما - فلما فرغ من طوافه أرسل إزاره حتى بدا بطنه، ثم ألصقه ما بين الركن والباب[6].

---

(١) أخرجه أبو داود (١٨٩٩) وفي سنده المثنى بن الصباح وهو ضعيف لكنه ينجبر بما قبله. (٢) زاد المعاد (٢١٨/٢). (٣) أخبار مكة للفاكهي (٢٣٣) وإسناده حسن. (٤) أخبار مكة للفاكهي (٢٣٢).

(٥) إسناده صحيح رواه عبدالرزاق (٧٦/٥). (٦) إسناده حسن: أخبار مكة للفاكهي (٢٤٢).

غزوة فتح مكة

عندما تم صلح الحديبية، دخلت خزاعة في عهد الرسول (ﷺ) ودخلت بنو بكر في عهد قريش، ولكن رجلاً من بني بكر أصاب رجلاً من خزاعة، واستعرت نتيجة ذلك الحرب بين الفريقين، وأمدت قريش بني بكر بالسلاح، بل حارب بعض القرشيين مع بني بكر مستخفين بظلمة الليل، وبذلك نقضوا الاتفاق مع رسول الله (ﷺ)، وجاء من خزاعة من يطلب النصر من رسول الله (ﷺ)، فأمر (ﷺ) الناس بالجهاز وأخبرهم أنه سائر إلى مكة.

وقال: "اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نغْبِتها في بلادها" فتجهز الناس.

فلما أجمع رسول الله (ﷺ) المسير إلى مكة، كتب حاطب بن أبي بلتعة كتابًا إلى قريش يُخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله (ﷺ) من الأمر في السير إليهم، ثم أعطاه امرأة وجعل لها جُعلاً على أن تُبلِّغَه قريشًا، فجعلته في رأسها ثم فتلت عليه قرونها، ثم خرجت به، وأتى رسول الله (ﷺ) الخبر من السماء بما صنع حاطب، فبعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام فقال: "أدركا المرأة قد كتب معها حاطب بكتاب إلى قريش، يُحذِّرهم ما قد أجمعنا له في أمرهم"، فخرجا

حـتى أدركاها بـروضة خاخ عند الخَليقـةِ خَليقـةٍ[1] بـني أبي أحمد، فاستنزلاها فالتمسا في رحلها فلم يجدا شيئًا.

فقال لها علي بن أبي طالب: إني أحلف ما كُذِب رسول الله ولا كُذِبـــنا، ولتخرجن لنا هذا الكتاب، أو لنَكْشفنك، فلما رأت الجدَّ منه قالت: أعرض عني. فأعرض عنها فحلّت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منه، فدفعته إليه، فجاء به إلى رسـول الله (ﷺ) فدعا رسـول الله (ﷺ) حـاطبًا فقـال: "ياحـاطبُ، ما حملك على هذا؟" فقـال: يارسول الله، أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله، ما غَيَّرتُ ولا بـدَّلتُ، ولكني كنت امرءً ا ليس لي في القوم من أصلٍ ولا عشيرة، وكان لي بـين أظهرهم ولدٌ وأهل، فصَانَعْتُهم عليهم، فقـال عمر بـن الخطاب: يارسول الله، دعني فلأضرب عنقه، فإن الرجل قد نافق، فقال رسـول الله (ﷺ): "وما يدريك ياعمر، لعل الله قـد اطَّلع إلى أصحـاب بـدر يومَ بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم[2]".

وخرج رسـول الله (ﷺ) لعشـر مضين من رمضان وقـد عميت الأخبـار عن قـريش، فلا يأتيهم خبر عن رسـول الله (ﷺ) وجيشـه. وخرج أبو سفيان بن حرب ومعه حكيم بن حزام، وبـديل بن ورقاء يتحسسـون الخبر، وكان العباس عمُّ النبي (ﷺ) قد خرج إلى الأراك راكبًا بـغلة رسـول الله (ﷺ) البـيضاء، لعله يجد من يدخل مكة،

(١) قال ياقوت: خليقة منزل على اثني عشر ميلاً من المدينة بينها وبين ديار سليم.

(٢) البداية والنهاية (٦/ ٥٢١).

فيخبرهم بمكان رسول الله (ﷺ) فيأتونه فيستأمنونه، فلاقى العباس أبا سفيان، ونصحه أن يركب معه ويذهب فيستأمن رسول الله (ﷺ) فذهب معه، وعرض عليه رسول الله (ﷺ) الإسلام فأسلم، وقال العباس بعد إسلامه: يارسول الله، إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئًا.

قال: "نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن"[1].

عندما دخل رسول الله (ﷺ) إلى ذي طوى، كان يضع رأسه تواضعًا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى أن شعر لحيته ليكاد يمسّ واسطة الرّحل.

الجيوش تدخل مكة:

وتحركت كل كتيبة - من الجيش - تُنفِّذ ما أمر به رسول الله (ﷺ).

فأما خالد وجنده فلم يلقهم قتال، إلا ما كان من أمر بني بكر والأحابيش بأسفل مكة، قاتلهم فهزمهم الله تعالى، وكان صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو قد جمعوا أناسًا بالخندمة ليقاتلوا، فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ناوشوهم شيئًا من قتال، أصيب من المشركين أناس قريب من اثني

(١) سيرة ابن هشام (٤/ ٣٧).

عشـر أو ثلاثة عشـر فانهزموا، وكان رسـول الله (ﷺ) قـد عهد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة: "ألا يقتلوا أحدًا إلا من قاتَلهم" إلا أنه قد عهد في نفر سماهم، أمر بقـتلهم وإن وُجدوا تحت أستار الكعبة، منهم: عبدالله بن سعد بن أبي سَرْح، وعبدالله بن خَطَل، وقـينتان لعبـدالله بـن خطل، والحُويرث بـن نُقَيذ بـن وَهْب، ومِقْيَس بن صُبابة، وعكرمة بن أبي جهل، وسارةُ مولاة كانت لبعض بني عبدالمطلب. وقتل منهم عبدالله بـن خطل، ومِقْيَس بـن صُبابـة، وإحدى قينتي ابن خطل، واستأمن الباقون فأمَّنهم رسول الله (ﷺ).

ودخل (ﷺ) بمن معه من " أَذاخِر" وذلك يوم الجمعة التاسع عشر من شـهر رمضان من السـنة المذكورة[1] كذا قـال العليمي في (تاريخ القـدس)، وفي (تحفة الكرام بأخبـار بـلد الله الحرام) للفاسـي عن الواقدي: "قدم رسول الله (ﷺ) يوم الجمعة لعشر ليال بقين من شهر رمضان".

وضربـت له (ﷺ) قبة بالأبطح ودخل على ناقته القـصواء بـين أبي بكر و أسيد بن حضير - رضي الله عنهما - فنزل في خيمته بالأبـطح. ويقـول ابـن عمر - رضي الله عنهما -: لما دخل (ﷺ) مكة يوم الفتح، رأى النسـاء يلطمن وجوه الخيل[2] بـالخُمُر، فتبسـم أبو بكر -رضي الله عنه - فقال: "ياأبا بكر، كيف قـال حسـان؟" فأنشده أبو بكر قول حسان بن ثابت - رضي الله عنهما -:

(١)٨هـ. (٢) ينفضن ما عليها من الغبار.

عَلِمتُ بُنَيَّتي إن لم تروها   تُثير النَّقْع من كنفي كداء

ينازعن الأعِنَّة مسرَجات   يُلطِّمهن بالخُمُر النساء

فقال: "ادخلوها من حيث قال حسان"[(١)].

فلما اطمأن الناس خرج (ﷺ) على ناقته، حتى أتى البيت، فطاف سبعًا على راحلته، يستلم الحجر كلما مرّ عليه بمِحجن[(٢)] في يده، وكان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنمًا مثبتة بالرصاص، فجعل يطعنها ويقول:

﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾

[الإسراء: ٨١]

والأصنام تتساقط على وجوهها وفي حديث جابر - رضي الله عنه - : دخلنا مع رسول الله (ﷺ) مكة وفي البيت، أو حول البيت ثلاثمائة وستون صنمًا تعبد من دون الله، فأمر رسول الله (ﷺ) فأُكِبَّت كلها لوجوهها ثم قال:

﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

---

(١) منائح الكرم (٤٨٦/١، ٤٨٥). (٢) المحجن كالصولجان عصا معقفة الرأس.

وفي البخاري: إن رسول الله (ﷺ) لما قدم، أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة، فأمر بها فأُخرجت، فأخرجوا إبـــــراهيم وإسماعيل في أيديهما الأزلامُ، فقال رسول الله (ﷺ): "قاتلهم الله، أما والله لقد علموا أنهما لم يستقسما بها قطُّ" فدخل البيت فكبر في نواحيه ولم يصل فيه[1]. والصحيح أنه صلى فيه كما جاء في حديث ابن عمر في البخاري[2]. وبعد أن صلى النبي (ﷺ) في الكعبة، ودار في البيت وكبَّر في نواحيه ووحَّد الله، فتح الباب وقريش قد ملأت المسجد صفوفًا ينتظرون ماذا يصنع؟ فأخذ بعضادتَي الباب وهم تحته فقال: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مآثرة، أو مال، أو دم يدّعى به فهو تحت قدميّ هاتين، إلا سِدانةَ البيت، وسقاية الحاج، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد: السوط والعصا، ففيه الدية مغلّظةً، مائة من الإبل، أربعون منها في بطونها أولادها، يامعشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظُّمَها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب" ثم تلا قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾
[الحجرات:١٣]

(١) البخاري (١٦٠١).

(٢) البخاري (١٥٩٩).

ثم قال: "يامعشر قريش ما ترون أني فاعل بكم"؟

قالوا: خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم.

قال: "فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته:

﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ﴾ [يوسف: ٩٢]

اذهبوا فأنتم الطلقاء".

ثم رد رسول الله (ﷺ) مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة وكان قد أمره بإحضاره.

بيعة الناس رسول الله (ﷺ) :

بعد الفتح بايع الناس رسول الله (ﷺ)، فقد جلس رسول الله (ﷺ) عند قَرْنِ مَسْقَلة[1] فجاءه الناس الصغار والكبار، والرجال والنساء، فبايعوه على الإيمان، وشهادة أن لا إله إلا الله.

ولما فرغ النبي (ﷺ) من بيعة الرجال، أخذ في بيعة النساء وهو على الصفا، وعمر قاعد أسفل منه، فبايعهن عنه (ﷺ). وبايعهن على أن لا يشركن بالله شيئًا، ولا يسرقن، ولا يزنين، ولا يقتلن أولادهن، ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن، ولا يعصينه في معروف.

مدة إقامته بمكة وبعضُ ما قام به من الأمور المهمة :

أقام النبي (ﷺ) تسعة عشر يومًا بمكة، وكان طِوال هذه المدة يقصر

(١) قرن مَسقلة: مكان، ومسقلة رجل كان يسكنه في الجاهلية.

الصلاة، والمكان الذي نزل فيه وضربت له فيه خيمته كان (شعب أبي طالب) وقام رسول الله (ﷺ) أيام فتح مكة بالكثير من الأعمال، ذكرنا بعضها، مثل تكسير الأصنام حول الكعبة، وصلاته داخل البيت، ومسح الصور التي فيه، وإقرار السدانة في بني شيبة والسقاية في آل عبدالمطلب، ومنها أنه أمر بلالاً أن يؤذن فوق الكعبة، ومنها إهدار دم بعض عتاة المارقين، ومنها مبايعة الرجال والنساء، كما أمر أبا أسيد الخزاعي فجدد أنصاب الحرم، وبعث السرايا للدعوة للإسلام لأنه عرف أن فتح مكة قد هيأ نفوسَ كثيرٍ ممن كانوا يعادون الإسلام لقبوله.

كما بعث (ﷺ) السرايا لكسر الأصنام فأرسل خالدًا فكسّر العزى وكانت بنخلة[1] . وكانت سريته لخمس ليال بقين من رمضان سنة ثمان للهجرة، وكانت العزى لقريش وبني كنانة وكانت أعظم أصنامهم، وبعث (ﷺ) عمرو بن العاص فكسّر سواع: صنم هذيل، وأرسل (ﷺ) سعد بن زيد الأشهلي فكسر مناة في رمضان سنة ثمان من مهاجر رسول الله (ﷺ).

(١) اسم موضع قرب مكة.

منع المشركين من دخول المسجد الحرام

بعد عودة رسول الله (ﷺ) من فتح مكة، كانت الوفود لا تزال تقدم إلى المدينة، تعلن إسلامها واقترب موعد الحج، ولم يستطع الرسول (ﷺ) أن يخرج بالمسلمين إلى الحج، فالوفود تقدم تباعًا ولا يزال في شبه الجزيرة العربية من لم يؤمن بعدُ بالله ورسوله. وما يزال بها بعض الكفار واليهود، والكفار - كما كان الأمر في الجاهلية - ما زالوا يحجون إلى الكعبة في الأشهر الحرم - والكفار نَجَس، فليبق الرسول إذًا بالمدينة حتى يتم الله كلمته، وحتى يأذن له بالحج إلى بيته، وليخرج أبو بكر في الناس حاجًّا.

كان المشركون لا يزالون يحجون إلى بيت الله الحرام، وكان لا بد أن تتخلّص الكعبة من قدوم هؤلاء المشركين، كما تخلّصت بالأمس من الأصنام ومظاهر الوثنية.

وفي أواخر شهر ذي القعدة من سنة تسعٍ خرج أبو بكر الصديق بإذن رسول الله (ﷺ) أميرًا على الحج، ومعه عشرون بَدَنَةً لرسول الله (ﷺ)، وله هو خمسون بدنة وكان في ثلاثمائة رجل من أهل المدينة، فلما كان بذي الحليفة على بُعد سبعة أميال من المدينة أرسل رسول

الله (ﷺ) في أثره عليَّ بن أبي طالب، وأمره بقراءة سورة براءة على المشركين، وفيها الآية:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَاۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٢٨].

وأمر الله عباده المؤمنين الطاهرين دينًا وذاتًا بنفي المشركين، الذين هم نجس دينًا، عن المسجد الحرام وأن لا يقربُوه بعد نزول هذه الآية، ونادى عليٌّ يوم الأضحى: أيها الناس، لا يحجن بعد العام مشرك، ولا يطوفن بالبيت عُريان، ومن كان بينه وبين رسول الله (ﷺ) عهد فأجَلُه إلى مدته.

وأجَّل على الناس أربعة أشهر بعد ذلك، ليرجع كل قوم إلى بلادهم، ومن يومئذ لم يحج مشرك، ولم يطف بالكعبة عريان. بل إن المشركين رجعوا فلام بعضهم بعضًا وقالوا: ما تصنعون وقد أسلمت قريش فأسلموا.

عهد الخلفاء الراشدين ومن بعدهم:

كان المسـجد الحرام صغيرًا، ولم يكن عليه جدار إنما كانت الدُّور مُحدِّقة به، وبين الدور أبواب يدخل الناس بها من كل ناحية، فضاق على الناس المسجد، فاشترى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - دورًا فهدمها، وهدم على قوم أبوا أن يبيعوا، ووضع أثمان دورهم في بيت المال حتى أخذوها بعد، ثمَّ أحاط عليه جدارًا قصيرًا وقال لهم عمر: "إنما نزلتم على الكعبة فهو فناؤها، ولم تنزل الكعبة عليكم" كان ذلك سنة سبع عشرة للهجرة عندما اعتمر عمر وأقام بمكة عشرين يومًا.

ثم كثر الناس في زمن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - فوسَّع المسجد، واشترى من قوم، وأبى آخرون أن يبيعوا فهدم عليهم، فصيَّحوا به فدعاهم فقال: إنما جَرَّأكم عليّ حِلمي عنكم فقد فعل بكم عمر هذا فلم يُصيِّح به أحد، فاحتذيت على مثاله فصيّحتم بي، ثم أمر بهم إلى الحبس حتى كلمه فيهم عبدالله بن خالد بن أسيد فتركهم.

وقد كانت زيادة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - سنة ست

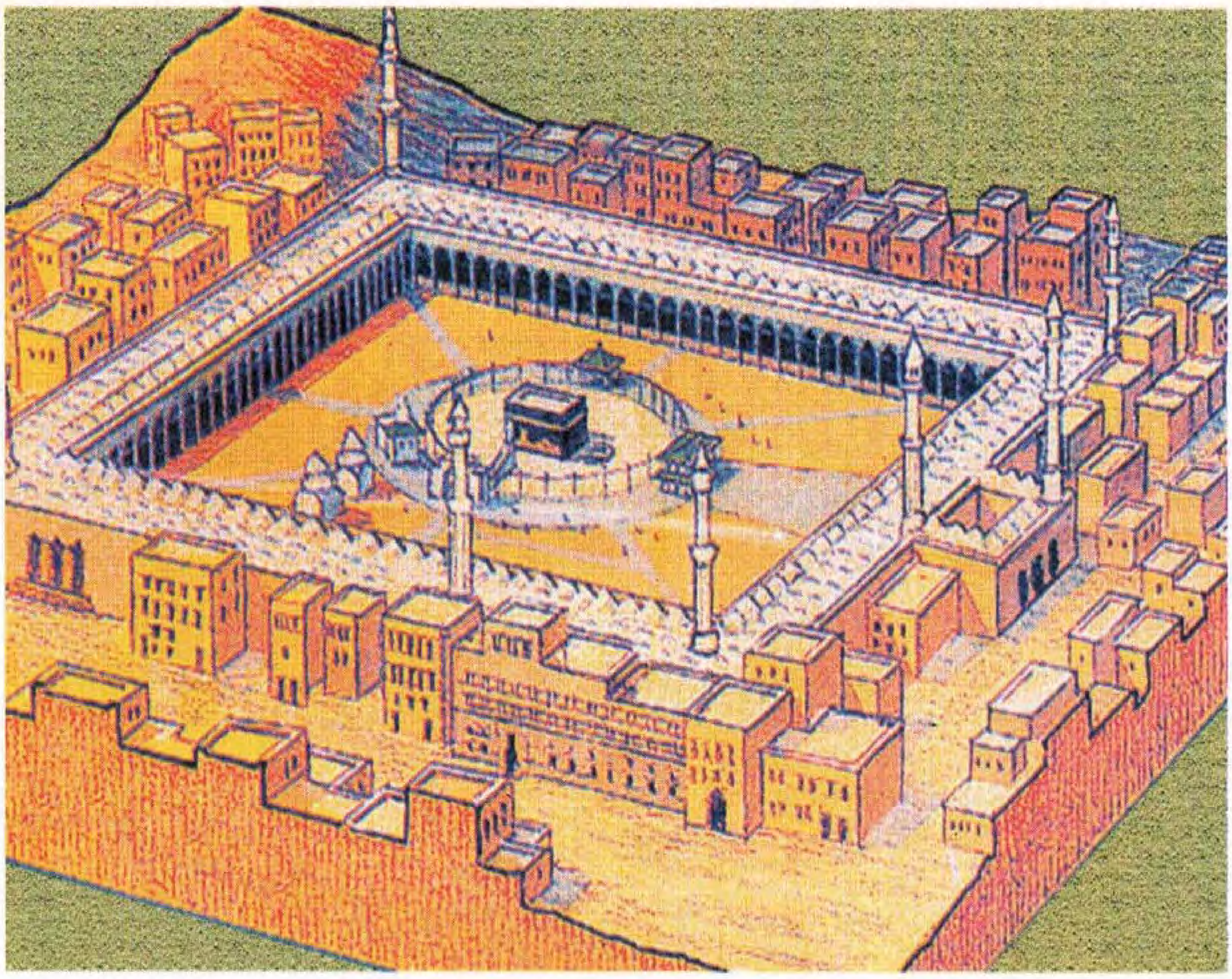

وعشرين للهجرة[1].

زيادة عبدالله بن الزبير :

ثم وسع عبدالله بن الزبير - رضي الله عنهما - المسجد من جانبه الشرقي، وهو أعلاه مما يليه من جانبه الشامي، ومن جانبه اليماني، وكان مما وسع به في الجانب الشرقي نصف دار الأزرقي جد الأزرقي صاحب كتاب "أخبار مكة"، اشترى ذلك ببضعة عشر ألف دينار.

زيادة أبي جعفر المنصور:

ثم وسعه أبو جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس، من جانبه الشامي ومن جانبه الغربي.

وكان ابتداء التوسعة في المحرم سنة سبع وثلاثين ومائة، والفراغ منه

(١) راجع أخبار مكة للأزرقي وتاريخ الطبري والكامل لابن الأثير.

في ذي الحجة سنة أربعين ومائة، وكان الذي زاد عليه المنصور النصف مما كان عليه قبل[1].

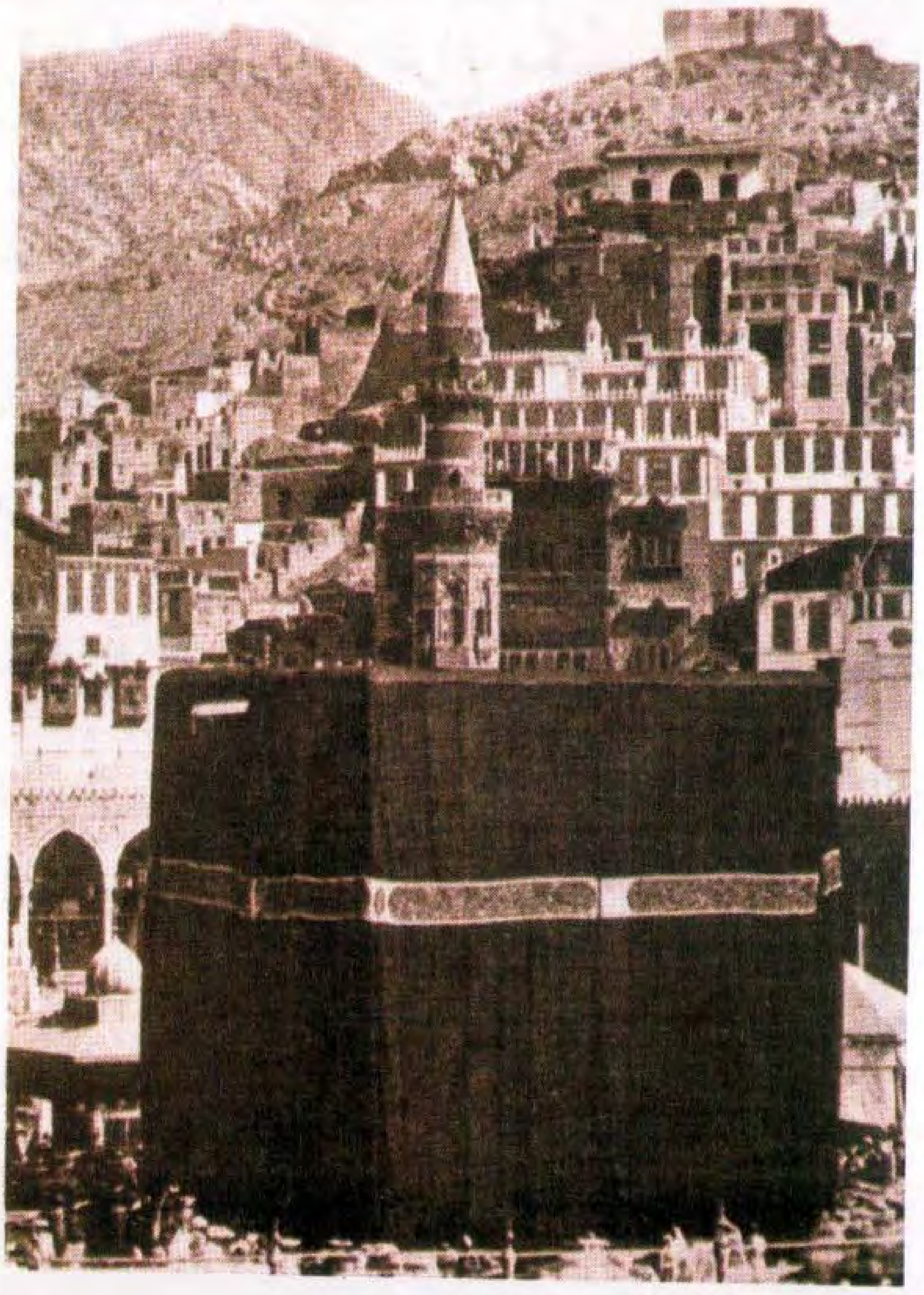

زيادة المهدي:

ثم وسَّعه المهدي بن أبي جعفر المنصور، من أعلاه ومن الجانب اليماني، ومن الموضع الذي انتهى إليه أبوه في الجانب الغربي.

وكانت توسعته له في مرتين: الأولى في سنة إحدى وستين ومائة، وفيها زِيد فيما زاده أبوه رِواقان.

والثانية في سنة سبع وستين، وكان أمر بها لَّما حجَّ حجته الثانية في سنة أربع وستين، ولم تكمل هذه الزيادة إلا في خلافة ابنه موسى الهادي، لمعاجلة المنيّة للمهدي.

وأنفقَ المهدي في توسعة المسجد الحرام وعمارته أموالاً عظيمة المقدار، لأن ثمن كل ذراع مكسّر دخل في المسجد: خمسة وعشرون

(١) راجع شفاء الغرام للفاسي (١/ ٤٢٦).

ديناراً، وثمن كل ذراع مكسّر دخل في الوادي: خمسة عشر ديناراً، ونقل إليه أساطين الرخام من الشام وغيرها، حتى أُنزلت بجدّة وحُملت منها على العَجَل إلى مكة، إلى غير ذلك من الأمور التي عظُمت فيها نفقته[1].

زيادة دار الندوة :

ثم كانت زيادة دار الندوة فقد كتب الساعي فيها إلى وزير المعتضد العباسي - عبيدالله بن سليمان بن وهب - يحسِّن له أن يجعل ما

بقي من دار الندوة مسجداً، ويقول له إن هذه تكرمة لم تهيأ لأحد من الخلفاء بعد المهدي. وقد سأل الساعي في دار الندوة قاضي مكة: محمد بن أحمد المقدّمي، وأميرها عج بن حاج (مولى المعتضد) أن

(١) راجع شفاء الغرام للفاسي (١/ ٤٢٧).

يكتبا فيها - أي دار الندوة - بمثل ما كُتب، فكتبا فعُرضت كتبهم على المعتضد، فأمر المعتضد بعمارة دار الندوة مسجدًا يوصل بالمسجد الكبير، وأخرج لذلك مالاً عظيمًا، فأُخرجت القمائم من دار الندوة، وهُدمت، ثم أنشئت مسجدًا من أساسها بأساطين وطاقات وأروقةٍ مسقّفة بالساج المذهب المزخرف، ثم فُتح لها في جدار المسجد الكبير اثنا عشر بابًا، وجُعل لها سوى ذلك: ثلاثة أبواب شارعة في الطريق التي حولها، وجُعل لها منارة وشُرُف، وفرغ منها في ثلاث سنين، ولعلها انتهت في سنة أربع وثمانين ومائتين[1].

زيادة باب إبراهيم:

أما الزيادة المسماة بزيادة باب إبراهيم، فقد كانت في عهد المقتدر بالله العباسي في سنة (٣٠٦هـ)، وباب إبراهيم في الجانب الغربي من المسجد. وهذه الزيادة هي ساحة الأرض، تقع بين باب الخيَّاطين وباب بني جمح، فجمع بينهما، وأُدخلت هذه الساحة في المسجد الحرام، وجعل عوض البابين بابٌ كبير يسمى "باب إبراهيم"[2].

إلى هنا ينتهي عمل الخلفاء العباسيين في عمارة المسجد الحرام، وما وقع بعد ذلك في المسجد هو تعمير وإصلاح وترميم إلى عهد السلطان سليم عام (٩٧٩هـ).

---

(١) راجع شفاء الغرام للفاسي (١/ ٤٣٠).

(٢) وإبراهيم ليس المراد به الخليل عليه السلام، بل كان خيّاطًا يجلس قِبَل هذا الباب فعرف به، منائح الكرم (٢/ ١٨٦).

عمارة السلطان سليم:

كان وقع في المسجد الحرام حريق سنة (٨٠٢هـ) في مدة السلطان برقوق سلطان مصر، فعمَّره السلطان برقوق وسقَّفه بالخشب والساج

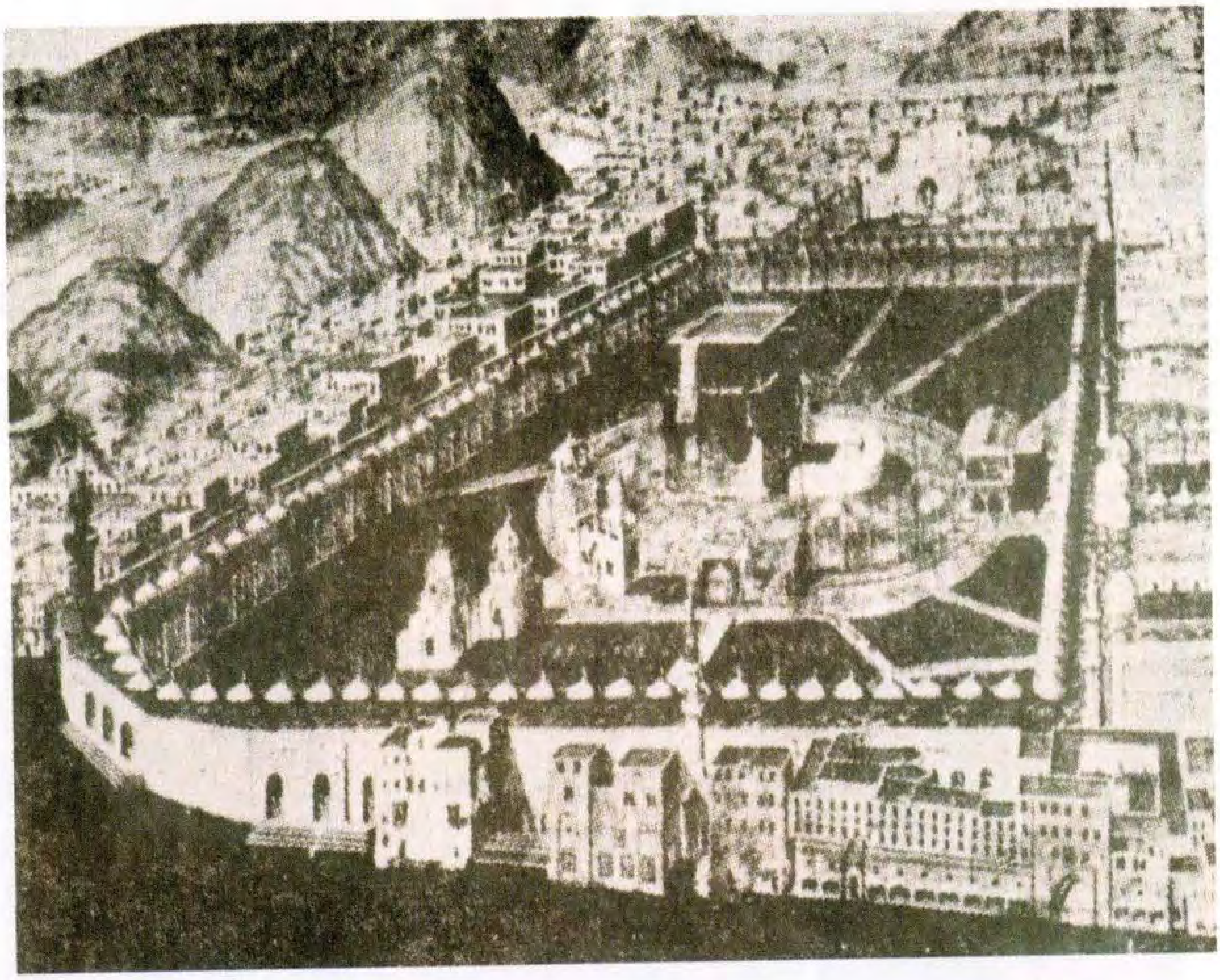

كما كان، وتكرر فيه الترميم والإصلاح، وصار فيه وهن وخراب، فعُرض ذلك على السلطان سليم، فصدر أمره بهدمه وتجديده، وأن لا يسقف بالخشب، بل يجعل سقفه قُبًا، فكان الشروع في ذلك سنة (٩٧٩هـ) قبل إتمام التعمير، فأتمه ابنه السلطان مراد الثالث. وكان الفراغ من تعميره سنة (٩٨٤هـ)[1].

(١) ملحق رقم (١) من كتاب أخبار مكة للأزرقي طبعة دار الثقافة.

توسعة المسجد الحرام في العهد السعودي

وقفت مساحة المسجد الحرام عند الحد الذي بلغته منذ (١٠٦٩) عامًا في عهد المقتدر بالله، ولكن البناء حوله لم يتوقف، وأخذ يزحف تجاهه حتى اتصلت به المنازل ولصقت به، وكذلك الحال بالنسبة للمسعى، فقد فصلت المباني بينه وبين المسجد الحرام، وأصبح طريقًا ضيِّقًا تحيط به الحوانيت، وترتفع فوقها المنازل طبقات.

بدأ المسجد الحرام يضيق بالوافدين في مساحته المحدودة، فلم يُعدّ عدد الحجاج كما كان أيامَ كانت المواصلات بالدواب والمراكب الشراعية، ولكنه تضاعف أضعافًا كثيرة نتيجة التطور المذهل في وسائل المواصلات، فتحولت إلى السيارات الحديثة، والطائرات النفاثة، والبواخر الضخمة السريعة، وضاق المسجد بهذه الأعداد الضخمة، وكلما مرت الأعوام زادت أعداد الحجاج وزاد اشتداد الزحام، وزاد شعور من في مكة - سكانًا وحجاجًا - بهذا الضيق، والعجيب أن أحدًا من ملوك المسلمين أو أمرائهم لم يفكر في زيادة شبر واحد في مساحته لأكثر من ألف عام.

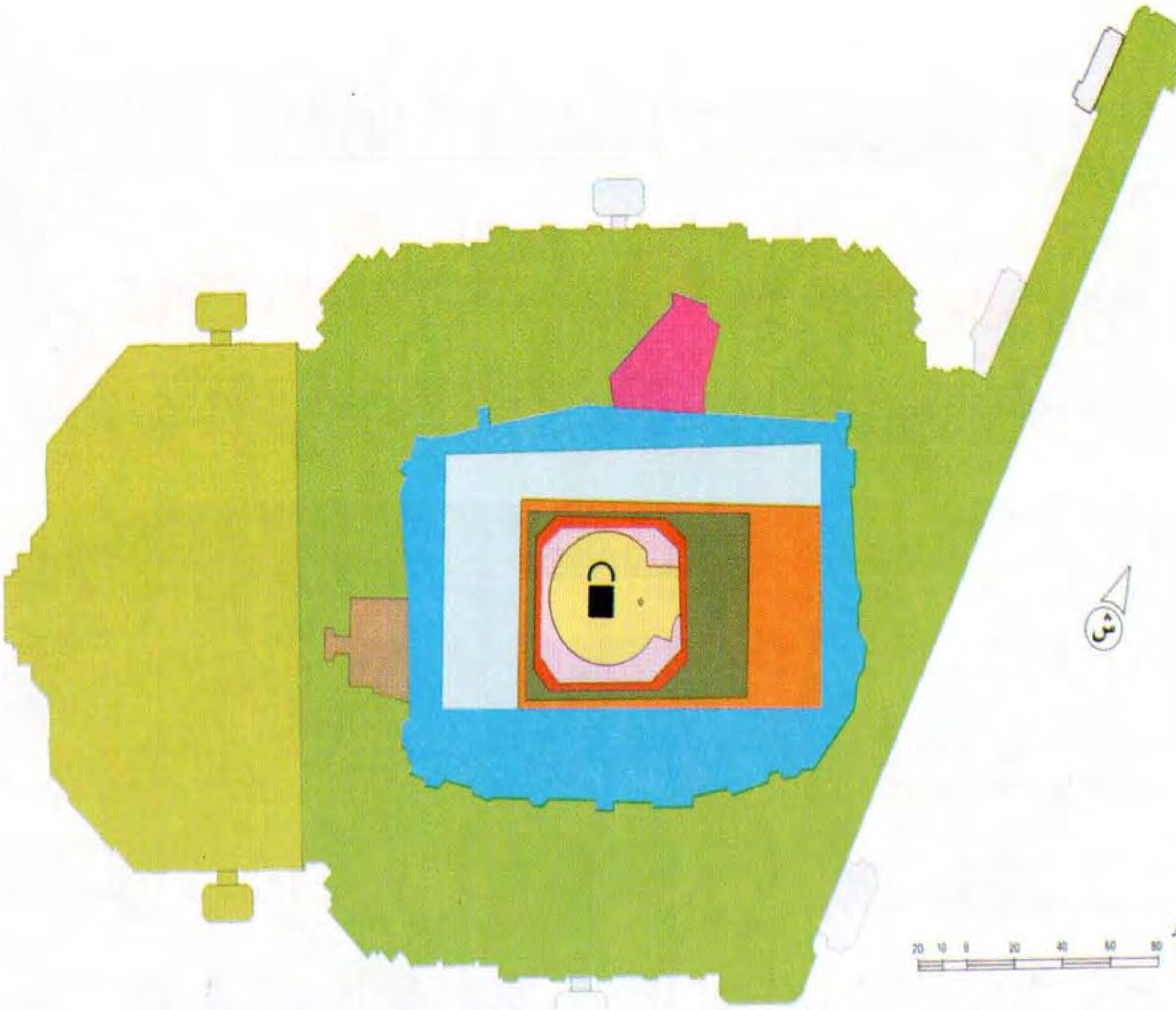

الشروع في التوسعة :

كانت البشارة بالشروع في التوسعة لما أُعلن انتهاء العمل الأساسي في توسعة المسجد النبوي التي كان العمل يجري فيها منذ عام (١٣٧٠هـ) ففي تلك المناسبة أُذيع بلاغ رسمي، جاء فيه أنه قد صدر الأمر بأن تنقل جميع الآلات والمعدات التي استخدمت في مشروع توسعة الحرم النبوي إلى مكة المكرمة للشروع فوراً في مشروع توسعة المسجد الحرام وقد أذيع هذا البلاغ يوم ٥ محرم عام (١٣٧٥هـ).

التوسعة الأولى عام (١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م) :

اهتم الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود - طيب الله ثراه وجزاه عن الإسلام خير الجزاء - بشئون الحرمين الشريفين اهتماماً كبيراً، وانطلاقاً من هذا الاهتمام أمر بترميم المسجد وشمل ذلك:

ترخيم الحرم وتجديد الأصبغة فيه، وإصلاح الأبواب، وأرضيات الأَروِقة، وهو أول من رصَف شارع المسعى، وجدَّد مظلته[1] وكانت أول توسعة في العهد السعودي في عهد الملك سعود بن عبدالعزيز، فهُدمت البيوت على جانبي المسعى بطابقين، وجُعل في الطابق الأول حاجز قليل الارتفاع يفصل بين المسارين: مسار السعي من الصفا إلى المروة، ومسار العودة من المروة إلى الصفا. وجعل للطابق الأول ستة عشر بابًا، ومدخلان للطابق الثاني أحدهما عند الصفا، والآخر عند المروة، ثم هدمت المباني في الناحية الجنوبية، وتم بناء الرِّواق الجديد بطابقيه الأول والثاني، وبنيت طبقة من البدرومات تحت التوسعة دون المسعى، ثم تمت التوسعة في الجانبين الغربي والشمالي، فتم فيهما مثل ما تم في القسم الجنوبي، وزيد عدد الأبواب فأصبحت واحدًا وخمسين بابًا، ما بين صغير وكبير، وأنشئت سبع منائر عوضًا عن المنائر السبع القديمة التي هدمت في التوسعة. وقد بلغت الزيادة في التوسعة السعودية الأولى ١٥٣٠٠٠ متر مربع وتبلغ مساحة المسجد ١٨٠٨٥٠متر مربع، وبذلك تكون مساحة المسجد قد تضاعفت ست مرات، فقد كانت المساحة قبل هذه التوسعة ٢٧٨٥٠متر مربع فقط.

وقد جاء بناء التوسعة قويًّا وجميلاً، حيث حشيت الجدران بالمرمر، والسقوف والعقود بالحجر الصناعي، ليكون المسجد الحرام تحفة معمارية رائعة.

(١) أول من عمل مظلة على شارع المسعى الملك الشريف الحسين بن علي سنة ١٣٣٩هـ.

توسعة الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود حفظه الله

(١٤٠٩هـ ١٩٨٨م)

اهتم خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود - حفظه الله - بالحرم اهتمامًا عظيمًا، وبذل فيه بذلاً سخيًّا، وشملت مشروعاته التي نفذت نوعين:

١ التحسين والتجميل والتجهيز.

٢ زيادة مساحة المسجد الحرام.

وبالنسبة لزيادة المساحة فقد تمت زيادة الناحية الغربية، وهي تمتد من باب الملك عبدالعزيز إلى باب العمرة وذلك بطابقين وبدروم، كما مهَّد سطح المسجد للصلاة فيه، ويعتبر زيادة حقيقية للمساحات التي يصلى فيها حين يستوعب أكثر من ٨٠,٠٠٠ مصل، بعد تحسينه وإعداد ثلاثة مبان للسلالم الكهربائية المتحركة، كأنه أضيف دور ثالث على الطابقين السابقين في التوسعة، وقد شملت التوسعة مدخلاً رئيسًا هو باب الملك فهد و(١٤) مدخلاً فرعيًّا ومدخلان للبدروم، ويصبح بذلك عدد المداخل الرئيسة للمسجد الحرام أربعة، وعدد المداخل الفرعية أربعة وخمسون بجانب ستة مداخل للبدرومات، والمداخل العلوية للطابق الثاني والسلالم الكهربائية.

وأضيفت مئذنتان جديدتان تشبهان المآذن السبع السابقة.

وقد بلغت مساحة الزيادة ستة وسبعين ألف متر مربع (٧٦,٠٠٠متر مربع)، وهي ثلاثة أمثال مساحة المسجد الحرام قبل الزيادة السعودية الأولى ومعنى ذلك أن التوسعتين السعوديتين: الأولى والثانية ضاعفتا مساحة المسجد الحرام تسع مرات، هذا وقد أضيفت مساحات جديدة للمصلين من الناحية الشرقية للمسجد الملاصقة للمسعى وتعرف بالساحة الشرقية، وتقع أسفل جبل أبي قبيس "القصور الملكية"، وتبلغ مساحتها حوالي أربعين ألف متر مربع، وقد تم تجهيزها بكافة ما يحتاجه المصلون، هذا بالإضافة إلى مساحات واسعة من الناحية الجنوبية والغربية مبلّطة بالرخام الأبيض، ليتخذها الناس مصلًّى عند ازدياد عدد المصلين خصوصًا أيام الحج.

تَوحيدُ مُصَلّيَاتِ الحَرَمِ

وتوحيد المصلين كلهم في الحرم خلف إمام واحد عمل لا يقل أهمية عن توسعة الحرم وتجميله وتمهيده للمصلين، بل هو عمل يفوق في معناه كل ذلك، كان هناك مقامات داخل الحرم - قبل

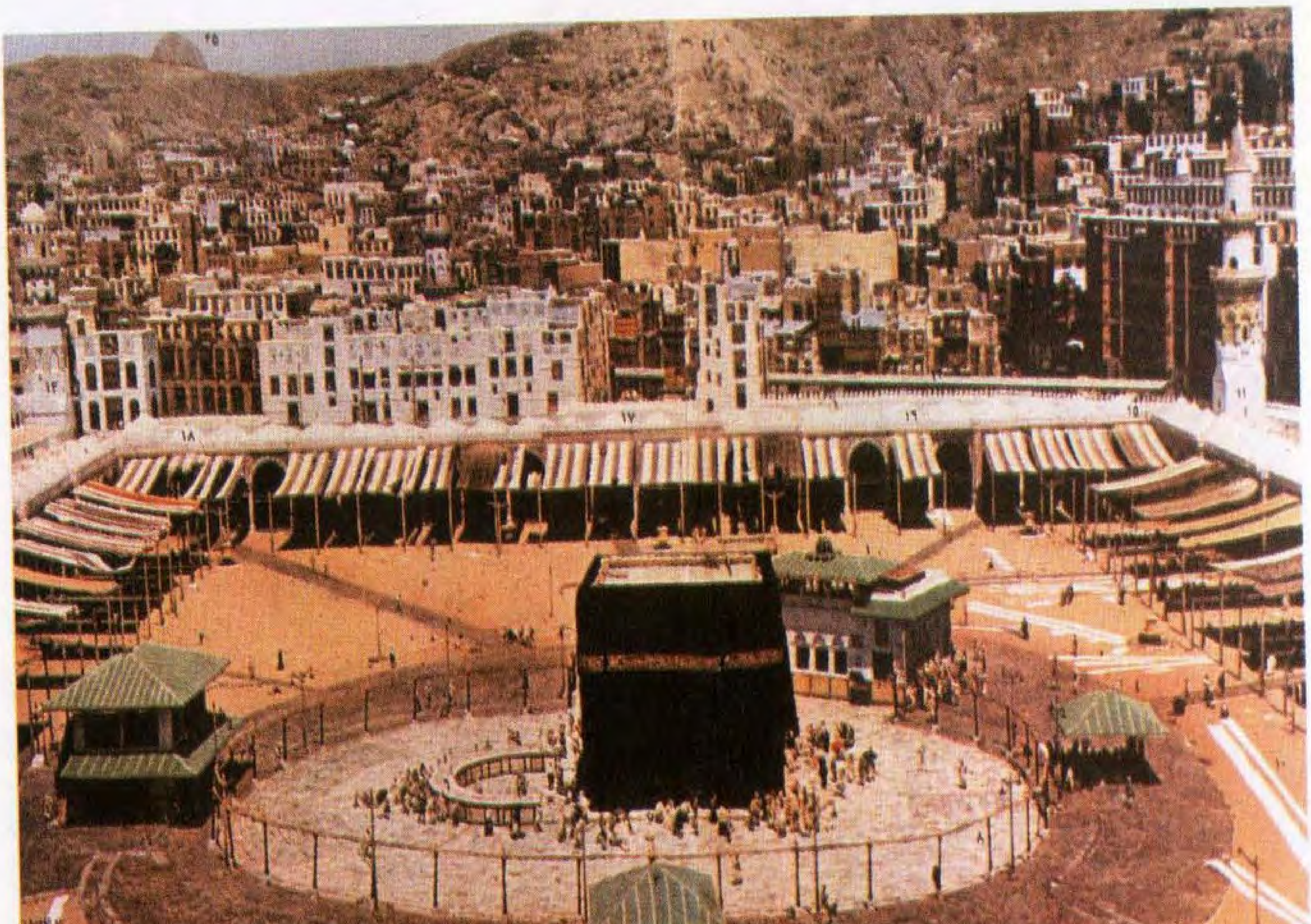

توحيد الإمام - فهناك مقام الإمام مالك، ومقام الإمام الشافعي ومقام الإمام أحمد بن حنبل ومقام الإمام أبي حنيفة، وكان لكل

مقام من هذه المقامات إمام يصلي بالناس، كان الأذان في وقت واحد ولكن الصلاة في كل مقام يختلف وقتها عن الصلاة في المقامات الأخرى، فأولاً تقام الصلاة في مقام الإمام أحمد، وبعد انتهائها تقام الصلاة في مقام الإمام الشافعي، ثم في مقام الإمام مالك، وأخيرًا في مقام الإمام أبي حنيفة، ولكل مقام أمامه وهذا الترتيب حدده العثمانيون، واستمر هذا الوضع الشاذ حتى جاء الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود - رحمه الله - الذي اهتم بإزالة كل المظاهر السالبة في حياة المسلمين، وإرجاع الأمور إلى ما كانت عليه في عهد رسول الله (ﷺ) والسلف الصالح فأمر بتوحيد المسلمين خلف إمام واحد.

جبل حراء:

كان نزول الوحي على النبي (ﷺ) في جبل حراء في غار فيه يسمى حراء، وكان رسول الله (ﷺ) يأتيه فيتحنث فيه - أي يتعبد - وذلك قبل أن يوحى إليه، فعن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: أولُ ما بُدِىء به رسولُ الله (ﷺ) من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان (ﷺ) لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّب إليه الخلاء، فكان (ﷺ) يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالِيَ ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزوّد لذلك ثم يرجع إلى خديجة - رضي الله عنها - فيتزوّد لمثلها[1]. الحديث.

وفي الحديث الذي روته عائشة - رضي الله عنها -: حتى فاجأه الحق وهو بغارحِراء، فجاء الملك، فقال: "اقرأ، فقلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارىء، فأخذني الثالثة حتى إذا بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ". الحديث[2].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: إن النبي (ﷺ) كان

(١) رواه البخاري (٣) وأخرجه أحمد (٦/ ٢٣٢).

(٢) وهذا جزء من الحديث السابق.

على صخرة بحراء، هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير - رضي الله عنهم - فتحركت الصخرة فقال رسول الله (ﷺ): "اهدأ، فما عليك إلا نبيّ، أو صديق، أو شهيد"[1].

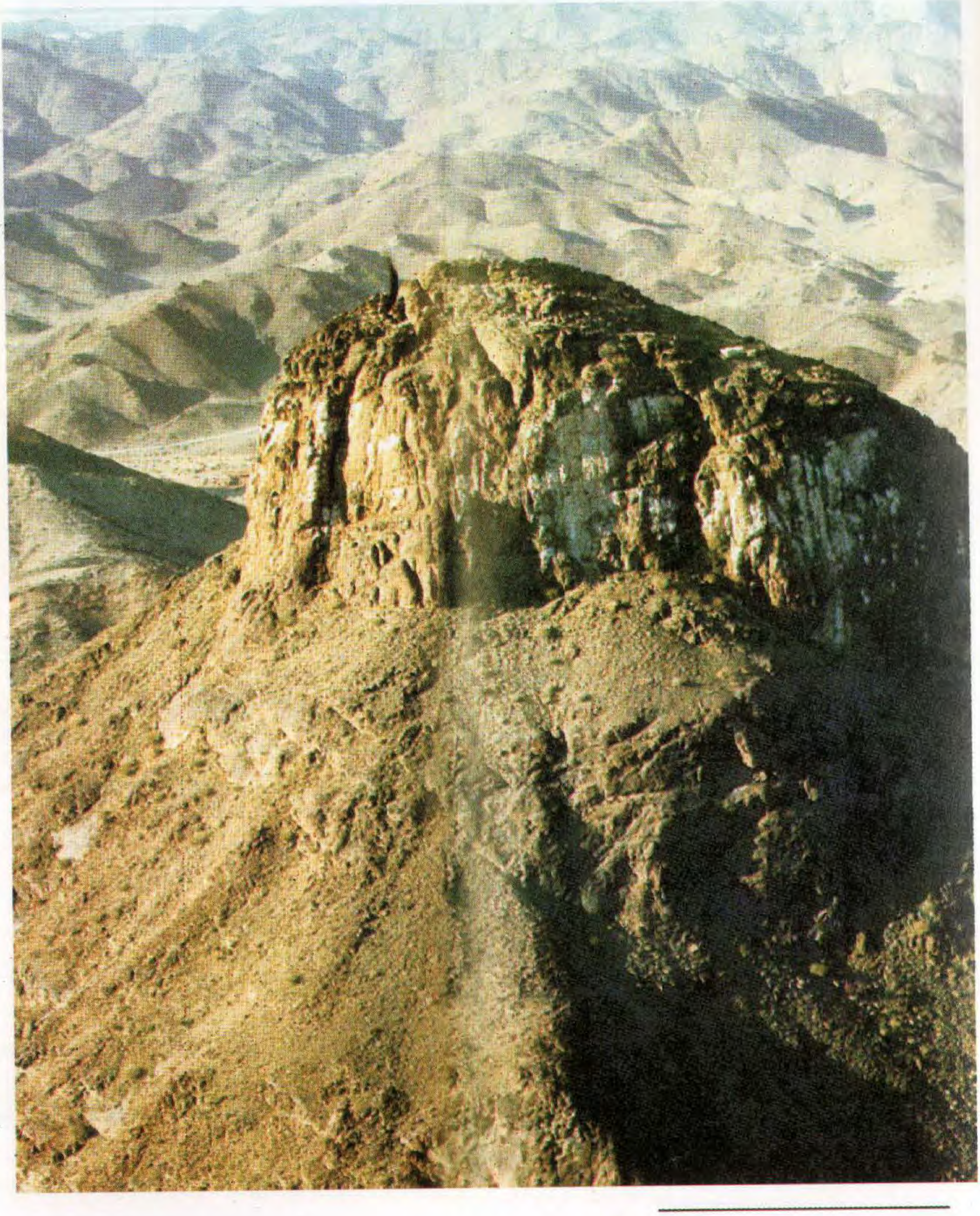

(١) رواه مسلم (٢٤١٧) وأخرجه أحمد (٢/ ٤١٩).

جبل ثور :

وهو بأسفل مكة، وقد اختفى النبي (ﷺ) وأبو بكر فيه حين هاجرا إلى المدينة، وذلك في غار مشهور فيه، وهو الغار الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز حيث قال سبحانه:

﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ الآية [التوبة: ٤٠]

أي: عام الهجرة لما همّ المشركون بقتله أو حبسه أو نفيه، فخرج منهم هاربًا بصحبة صديقه وصاحبه أبي بكر الصديق، فلجأ إلى غار ثور ثلاثة أيام ليرجع الطلب الذين خرجوا في آثارهم، ثم يسيرا نحو المدينة، فجعل أبو بكر - رضي الله عنه - يجزَع أن يطّلع عليهم أحد، فيخلص إلى رسول الله (ﷺ) منهم أذًى، فجعل النبي (ﷺ) يسكّنه ويُثبِّته ويقول: يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما"[1].

(١) البخاري (٣٦٥٣).

فعن أنس أن أبابكر حدثه قال: كنت مع النبي (ﷺ) في الغار فرأيت آثار المشركين، قلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم رفع قدمه رآنا، قال: "ما ظنك باثنين الله ثالثهما "[1]

مسجد الخيف وفضله:

هو من المساجد التي ثبت لها الفضل في بعض الأحاديث والآثار، ففي حديث ابن عباس مرفوعًا: "صلّى في مسجد الخيف

(١) البخاري (٤٦٦٣).

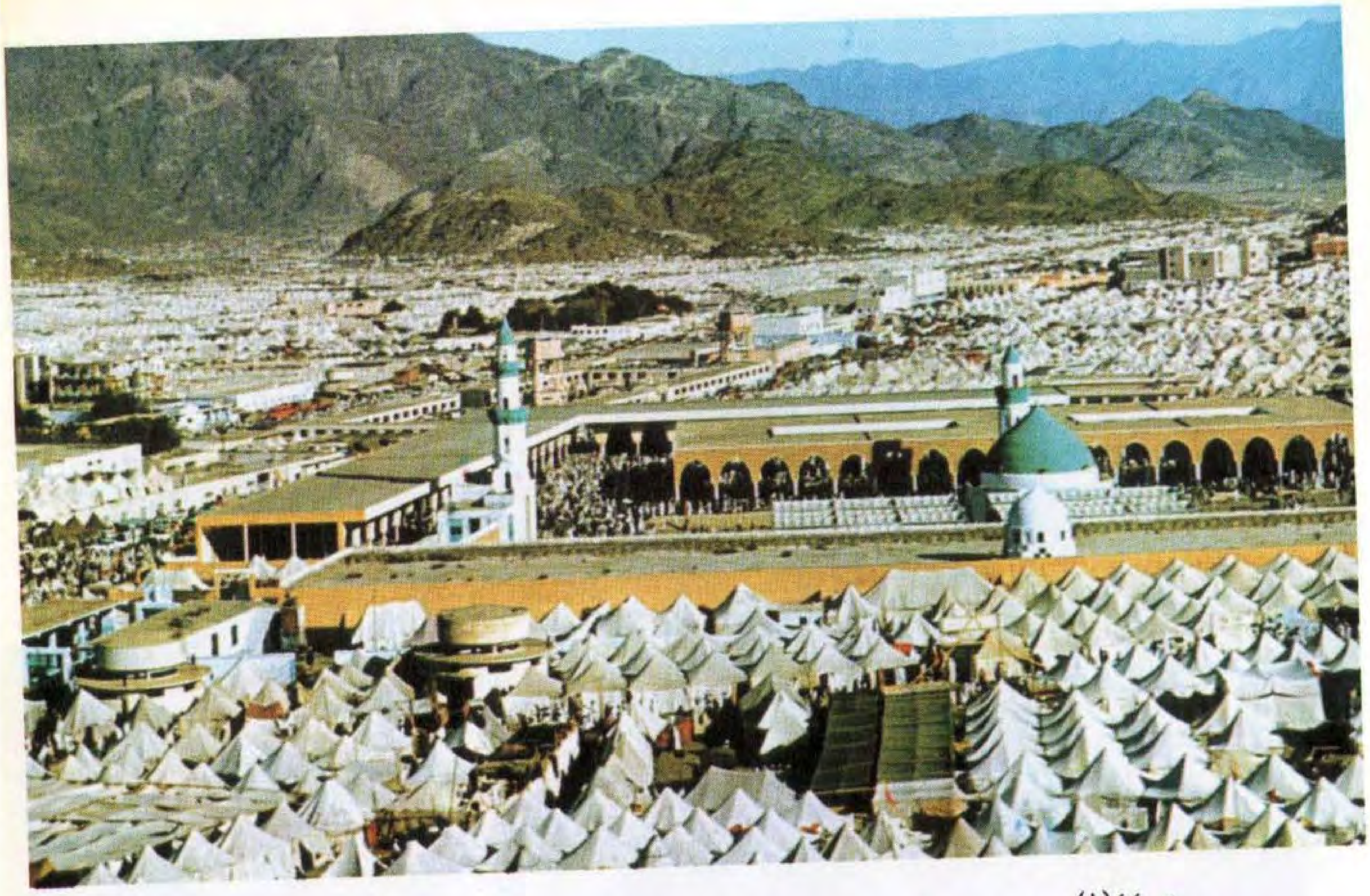

سبعون نبيّا"[1] وقد صلى فيه النبي (ﷺ) في حجته، كان صحابة رسول الله (ﷺ) يعرفون لهذا المسجد فضله، ويذكرونه بخير كثير، ويحضّون الناس على الصلاة فيه أثناء أداء المناسك.

فعن ابن جُريج قال: قلت لعطاء: رجل من التجار شغل في أيام الحج في بيعه، فلم يستطع الصلاة فيه حتى نفر، قال: فيصلي فيه، قلت: أتوجب الصلاة فيه؟ قال: لا، ولكن صلوا فيه ما استطعتم.

وقال أبو هريرة - رضي الله عنه -: لو كنت من أهل مكة، ما جاءت عليّ جمعة إلا صليت فيه"[2].

ولم يثبت في حديث صحيح أنه دُفِن في هذا المسجد سبعون نبيًّا، وكلُّ ما رُوِي فيه ضعيف.

---

(١) مجمع الزوائد (٣/ ٢٩٧) وحسنه الشيخ الألباني في المناسك ص (٣٩). (٢) أخبار مكة للفاكهي (٤/ ٢٧١) وقال المحقق: إسناده حسن، وأثر أبي هريرة حسن الإسناد أيضًا.

مـــنى :

هو الموضع الذي يؤمر الحاج بـنزوله والإقـامة بـه حـتى تطلع الشمس على ثبير في يوم عرفة، وفي يوم النحر وفيما بـعده من أيام التشـريق، والمبـيت بـه، وفيه يرمي الحاج الجمار، يعمر أيام الموسم ويخلو بقية السنة إلا ممن يسكنها.

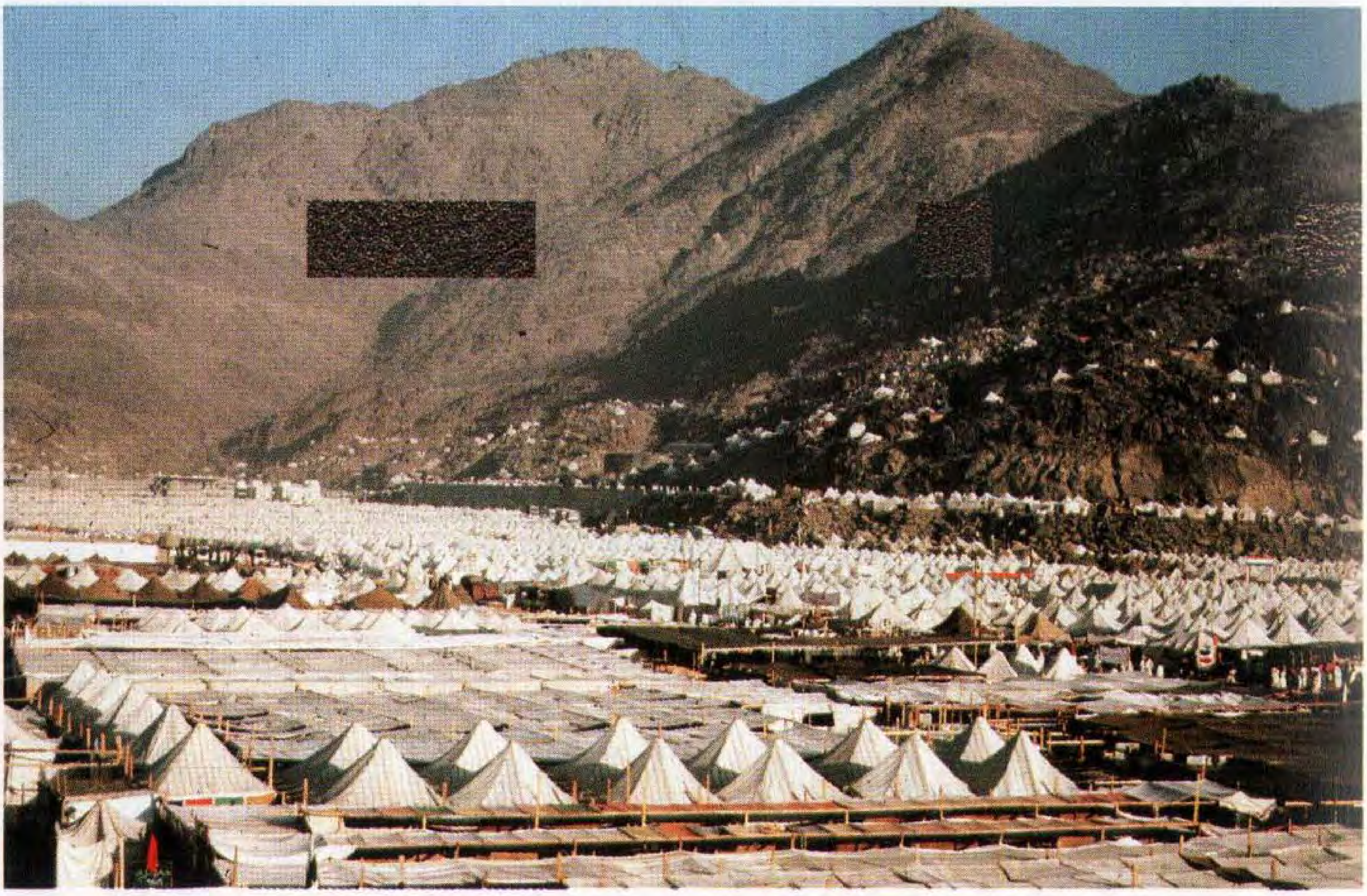

وحـدُّ منى ما بـين قـرى وادي مُحَسّر إلى العَقَبـة التي عندها الجمرة الدنيا إلى مكة، وهي جمرة العقبـة التي بـايع رسـول الله (ﷺ) الأنصار عندها.

ومن فضائل منى أن بها مســـــــجد الخيف، ومنها: أن الله أنزل الكبش على إبراهيم - عليه السلام - فداء لابنه بها، والقصة معروفة.

عـرفة :

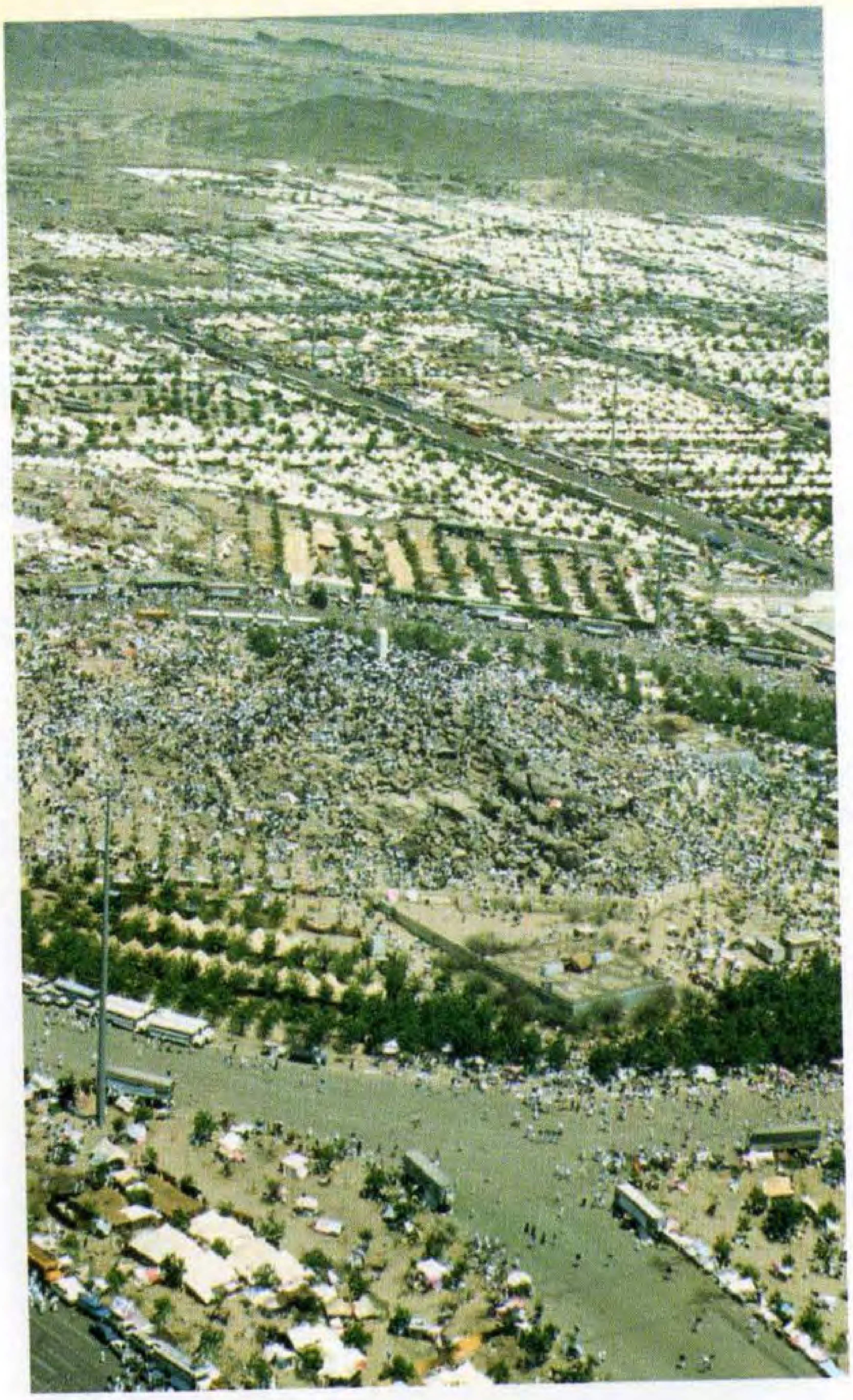

عرفة تسمى أيضًا عرفات، والوقوف بعرفة ركن، ومن فاته الوقوف بعرفة فقد فاته الحج لقول الرسول (ﷺ): "الحج عرفة"[1] ويكون عليه حج قادم وهدي، وليوم عرفة فضل كبير، وقد ورد في ذلك كثير من الأحاديث.

قالت عائشة - رضي الله عنها -: إن رسول الله (ﷺ) قال: "ما من يوم أكثرَ من أن يعتق الله فيه عبيدًا من النار، من يوم عرفة، وإنه ليدنو - عزّ وجلّ - ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء"[2].

وقال رسول الله (ﷺ): "ما رُئي الشيطان يومًا هو أصغر فيه، ولا أدحر، ولا أحقر، ولا أغيظ منه في يوم عرفة، وما ذلك إلا مما يرى من تنزُّل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام"[3].

---

(١) أبو داود (١٩٤٩) والترمذي (٨٨٩) وغيرهما وهو صحيح.

(٢) أخرجه مسلم (١٣٤٨) وابن ماجه (٣٠١٤) والنسائي (٣٠٠٣) وغيرهم.

(٣) رواه مالك (١ / ٤٢٢) وعبد الرزاق (٤ / ٣٧٨) والفاكهي (٥ / ٢٦) وغيرهم.

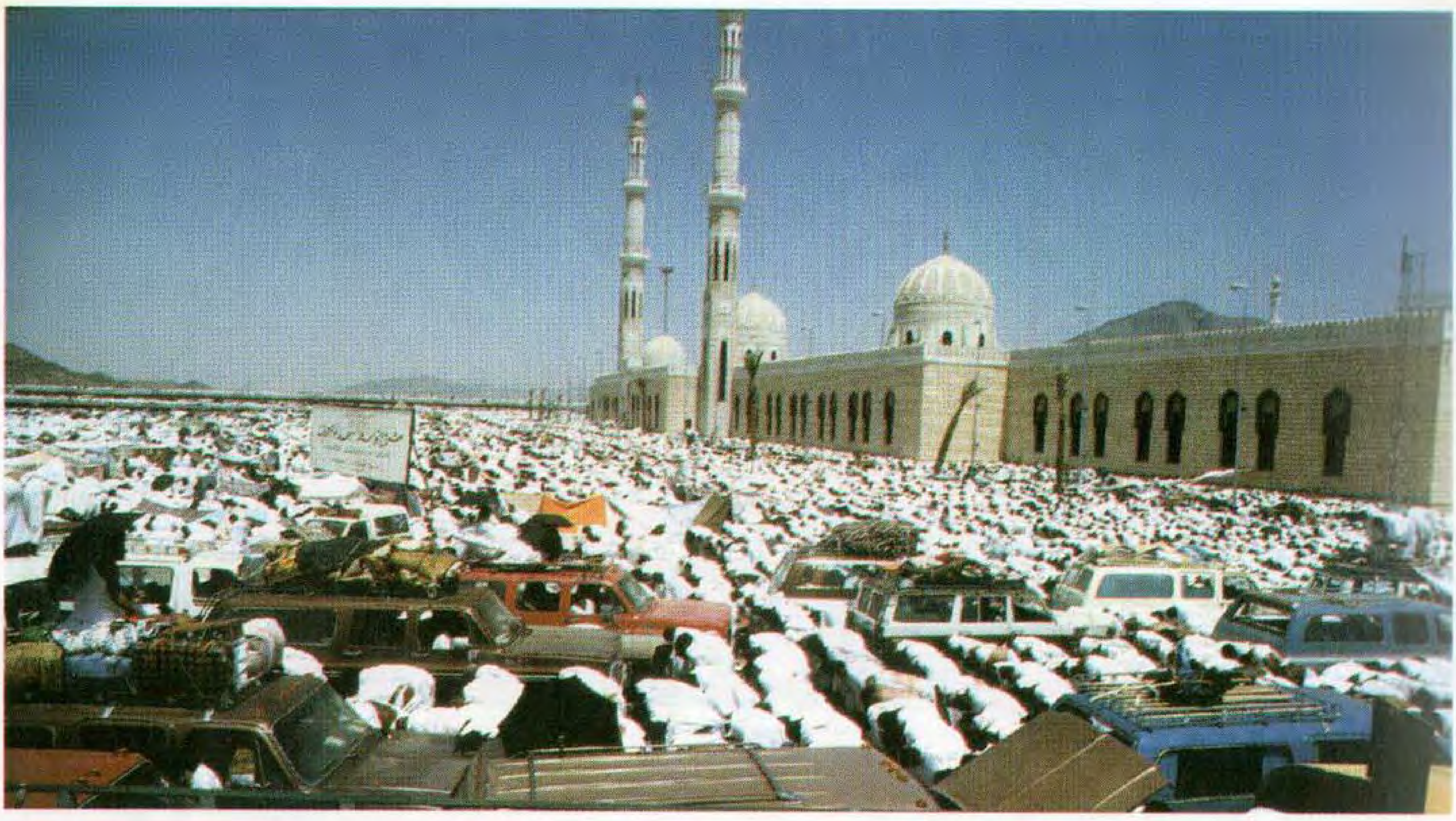

وعن طارق بن شهاب قال: جاء رجل من اليهود إلى عمر- رضي الله عنه - فقال: ياأمير المؤمنين، آيةٌ في كتابكم تقرؤُنها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا.

قال: أي آية؟ قال:

﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ [المائدة:٣].

قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي (ﷺ) وهو قائم بعرفة، يوم جمعة"[1].

ومن فضائل يوم عرفة أن صيامه يكفِّر سيئات السنة الباقية والماضية، فعن أبي قتادة أن رجلاً قال: يارسول الله، أرأيت صيام عرفة، قال: "أحتسب على الله أن يكفِّر السنة الباقية والماضية"[2].

(١) البخاري (٤٥) ومسلم (٣٠١٧).

(٢) مسلم (١١٦٢) والترمذي (٧٥٢).

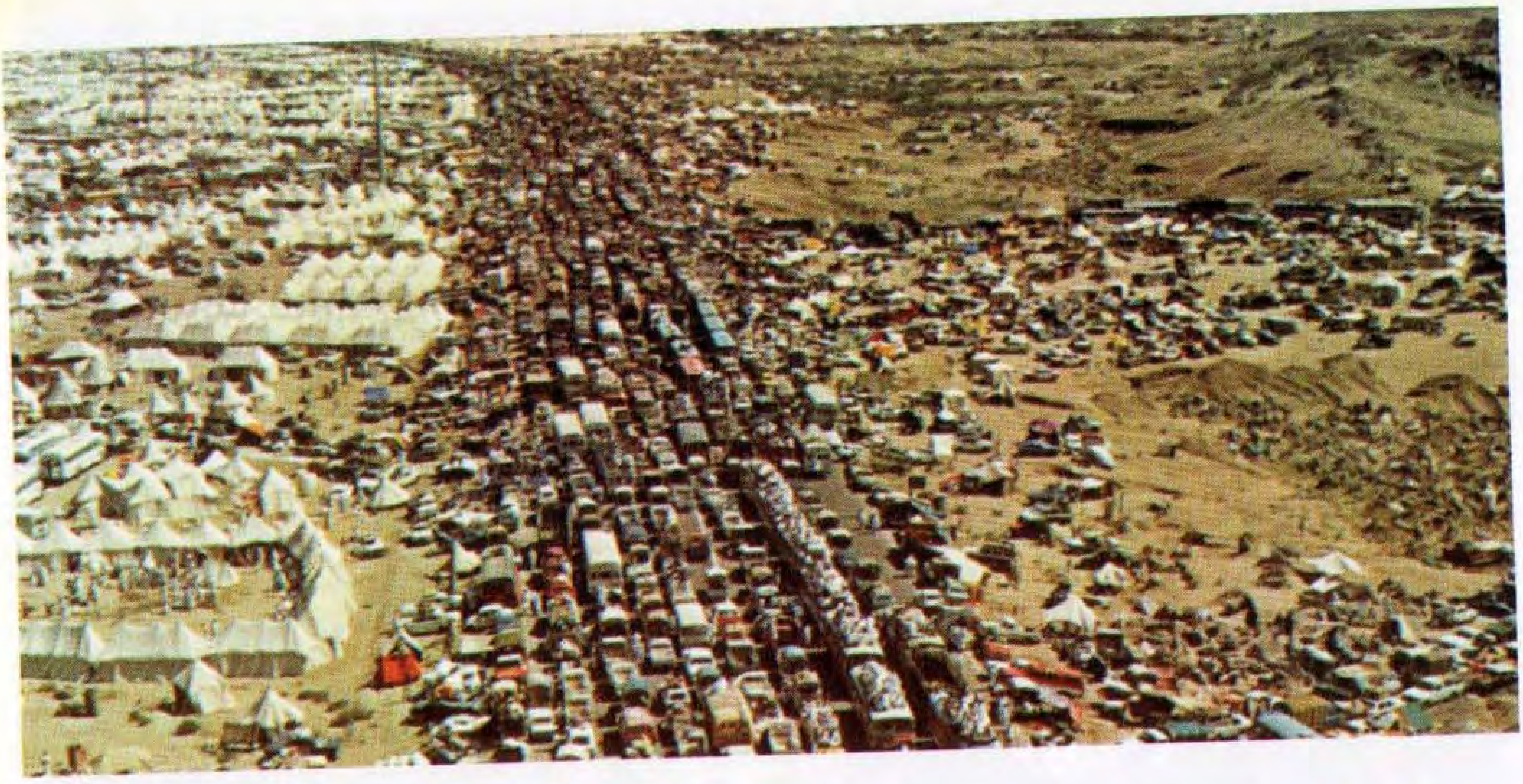

المزدلفـــة:

مزدلفة هو الموضع الذي يؤمر الحاج بنزوله والمبيت فيه بعد دفعه من عرفة ليلاً، وهو ما بين مأزمي عرفة ومُحسِّر. ومأزِمُ عرفة هو الذي يقال له: المَضِيق، قال بهذا التحديد مجموعة من العلماء، منهم الشافعي في كتابه (الأم) فإنه قال: المزدلفة حدُّها من حين يفضي من مأزمي عرفة إلى أن يأتي قرن محسِّر، هكذا على يمينك وشمالك من تلك المواطن. القوابل، والظواهر، والشعاب، والشِّجار كلها من المزدلفة.

ويقال للمزدلفة: جَمْعٌ، سميت بذلك لاجتماع الناس فيها، وهي المشعر الحرام الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز فقال:

﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ الآية [البقرة:١٩٨].

وقال البعض: إن المشعر الحرام موضع من مزدلفة لا كلها، ففي حديث جابر - رضي الله عنه - الطويل، ما يدل على أن المشعر الحرام موضع من المزدلفة لا كلها، لأنه قال فيه: - بعد

أنْ ذكر نزول النبي (ﷺ) المزدلفة، ومبيته بها، وصلاته فيها الصبح - ثم ركب القصوى حتى أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة، فدعا وكبر وهلل ووحد، ولم يزل واقفاً.

والمبيت بمزدلفة واجب، من تركه فعليه دم، والمستحب الاقتداء برسول الله (ﷺ) في المبيت إلى أن يُصبح، ثم يقف حتى يسفر، ولا بأس بتقديم الضعفة والنساء، ثم يدفع إلى منى قبل طلوع الشمس.

المُحَسِّر:

هو الموضع الذي يحب الإسراع فيه وهو واد بين منى والمزدلفة، على حدِّهما وليس منهما. ويقال للمحسِّر: "المُهلَّل" لأن الناس إذا وصلوا إليه في حجهم هلّلوا فيه وأسرعوا السير في الوادي المتصل به، والأصل في استحباب الإسراع في هذا المكان فعلُ النبي (ﷺ) لذلك فيه.وقد فعل ذلك لأجل أنه مأوى للشياطين فاستحب الإسراع فيه.

المُحَصَّب:[1]

ويستحب للحاج النزول فيه بعد انصرافه من منى، وهو في مكة بطريق منى هو منزل نزلَه رسول الله (ﷺ)، فعن أبي رافع - وكان على ثقل النبي (ﷺ) - قال: لم يأمرني النبي (ﷺ) أن أنزل الأبطح، ولكن ضربت فيه قبته، فجاء فنزل.

---

(١) المحصَّب: هو مسيل ماء بين مكة ومنى.

وقالت عائشة: إنما كان النبي (ﷺ) ينزل به لأنه كان أسمح لخروجه حين يخرج، فمن شاء نزله ومن شاء تركه[(١)].

وقال ابن جريج: وكنت أسمع الناس يقولون لعطاء: إنما نزل

> قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَرْدِفْ أُخْتَكَ - يَعْنِي عَائِشَةَ - فَأَعْمِرْهَا مِنَ التَّنْعِيمِ ...... الْحَدِيث

رسول الله (ﷺ) ليلتئذٍ المحصَّب ينتظر عائشة، فيقول: لا، ولكن إنما هو مُناخ للركبان فيقول: من شاء حصب ومن شاء لم يحصب[(٢)].

مسجد التَّنْعِيم:

ويعرف بمسجد عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - ويقع في المكان الذي توجهتَ إليه للإحرام بالعمرة، حيث أمرها الرسول (ﷺ) في حجة الوداع، ففي حديث طويل لجابر بن عبدالله جاء فيه:

وإن عائشة - رضي الله عنها - حاضت فنسكت المناسك كلها، غير أنها لم تطف بالبيت. قال: فلمّا طهرت وطافت قالت:

(١) انظر أخبار مكة للأزرقي (٢/ ١٦٠). (٢) المصدر نفسه.

يارسول الله، أتنطلقون بعمرة وحجة وأنطلق بالحج؟ فأمر عبدالرحمن بن أبي بكر أن يخرج معها إلى التنعيم، فاعتمرت بعد الحج في ذي الحجة[1].

ويقع المسجد على بعد (٧,٥ كم) من المسجد الحرام، على طريق مكة المكرمة ذاهبًا إلى المدينة المنورة، المسمى بطريق الهجرة، ويعتبر مَعلماً من معالم مكة المكرمة بطرازه الإسلامي الفريد، وهيئته المتميزة في البناء[2].

﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾

مسجد الجعْرانة:[3]

الجِعْرانة ماء بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أقرب، نزلها النبي (ﷺ) لما قسم غنائم هوازن، مرجِعَه من غزوة حنين، وأحرم منها، وله فيها مسجد وهو الذي يعرف بـ (مسجد الجعرانة).

وقال أبو العباس القاضي:

(١) البخاري (١٧٨٥). (٢) الدليل الإرشادي للحاج ١٤١٥ هـ مطبوع وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف (ص٢٤) وأخبار مكة للأزرقي (٢/ ٢٠٨). (٣) الجِعرانة بكسر الجيم، وأصحاب الحديث يكسرون عينه ويشددون راءه "الجعِرّانة"، وأهل الأدب يسكنون العين ويخففون الراء، وكلاهما صحيح.

أفضل العمرة، لأهل مكة ومن جاورها، من الجعرانة لأن رسول الله (ﷺ) اعتمر منها[1].

وعن الزنجي عن ابن جُرَيج قال: أخبرني زياد بن محمد بن طارق أنه اعتمر مع مجاهد من الجعرانة، فأحرم من وراء الوادي حيث الحجارة المنصوبة، قال: ومِن ههنا أحرم النبي (ﷺ).[1]

وذكر تقي الدين الفاسي: أن النبي (ﷺ) أحرم من المسجد الأقصى الذي تحت الوادي بالعُدوة القصوى من الجعرانة، وكان مصلَّى النبي (ﷺ) - إذا كان بالجعرانة - وكان إحرامه (ﷺ) ليلةَ الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة، وكان انتهى إلى الجعرانة ليلة الخميس لخمسِ ليالٍ خلَون من ذي القعدة، وأقام بها ثلاث عشرة ليلة[3].

والجعرانة أفضل مواقيت العمرة من مكة لإحرام النبي (ﷺ)

> عَنْ مُحَرِّشٍ الْكَعْبِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مِنَ الْجِعْرَانَةِ مُعْتَمِرًا فَدَخَلَ مَكَّةَ لَيْلًا ثُمَّ خَرَجَ مِنْ تَحْتِ لَيْلَتِهِ فَأَصْبَحَ بِالْجِعْرَانَةِ كَبَائِتٍ ..... الْحَدِيث

(١) معجم البلدان (٢/ ١٦٦). (٢) شفاء الغرام (١/ ٥٤٤). (٣) شفاء الغرام (١/ ٥٤٦).

من هذا المكان، على مذهب مالك والشافعي وابن حنبل، وغيرهم من العلماء - رضي الله عنهم -.

مسجد الجن:

وهو في طرف الحجون، وبني في المكان الذي خط فيه رسول الله (ﷺ) لعبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - خطًّا، وقد أُمر النبي (ﷺ) بقراءة القرآن على الجن، فأخذ معه ابن مسعود - رضي الله عنه - وانطلق حتى أتى الحجون عند شعب أبي دُبّ[1].

فعن ابن عثمان، عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: إن رسول الله (ﷺ) صلى صلاة العشاء، ثمّ انصرف، فأخذ بيد ابن مسعود - رضي الله عنه - فخرج به، حتى أتى أبطح مكة، فأجلسه، ثمّ خط عليه خطًّا ثمّ قال له: "لاتبرحِ، ويحك. فإنها ستنتهي إليك رجال، فلا تكلمهم، فإنهم لن يكلّموك" ثم انطلق رسول الله (ﷺ) حتى لم أره، فبينا أنا كذلك، فإذا أنا برجال كأنهم الزّط[2]: شعورهم، وأجسامهم، لا أرى عورة، ولا أرى بَشْرًا، فجعلوا ينتهون إلى الخطّ، فلا يجوزونه، ثمّ يصدرون إلى رسول الله (ﷺ)، حتى إذا كان من آخر الليل جاء رسول الله (ﷺ) و أنا في خطيّ فقال: "لقد آذاني هؤلاء منذ الليلة".

ثم دخل عليّ في الخط، فتوسد فخذي ثم رقد (ﷺ)، وكان رسول الله (ﷺ) إذا نام نفخ فذكر حديثا فيه طول[3].

(١) أبو دبّ هذا رجل من بني سواءة بن عامر بن صعصعة (معجم البلدان: شعب).

(٢) جنس من السودان والهنود، والواحد زطيّ.

(٣) إسناده حسن رواه أحمد (١/ ٣٩٩) والترمذي (٢٨٦١).

الحج

الحج أحد أركان الإسلام ومبانيه العظام، ودعائمه الخمس، وفرض من فروضه، دل عليه الكتاب والسنة والإجماع، وهو فرض عينٍ على المكلف المستطيع مرة واحدة في العمر، ومن أنكر ذلك فقد كفر، والأدلة على وجوب الحج كثيرة نذكر منها.

من الكتاب:

قول الله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران:٩٧].

وقوله تعالى:

﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة:١٩٦].

ومن السنة:

ما رواه عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله (ﷺ):" بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج وصوم رمضان"[1].

(١) البخاري (٨) ومسلم (١٦).

ويجب على من لم يحج وهو يقدر عليه أن يبادر إليه، لقول النبي (ﷺ): "تعجلوا إلى الحج - يعني الفريضة - فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له" [1].

لقد وردت نصوص كثيرة عن فضل الحج، ونحن لا نستطيع أن نوردها كلها، ولكن نورد بعضها:

فقد قال رسول الله (ﷺ): "أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله" [2].

وقال (ﷺ): "من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه" [3].

وقال (ﷺ): "الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة" [4].

وإذا عزم المسلم على السفر إلى الحج أو العمرة استحب له أن يكتب وصيته، ويجب عليه المبادرة إلى التوبة بشروطها المعروفة وهي: الإقلاع عن الذنب، والندم على ما مضى، والعزيمة على عدم العودة، ورد المظالم. وعلى الحاج أن يتخير لحجه وعمرته النفقة الطيبة، وعلى الحاج أن يصحب في سفره الأخيار، وأن يكون على علم بالمناسك، وأن يحرص على عدم إيذاء أحد، ويجب أن يتجنب الرَّفَث والفسوق والعصيان والجدال لغير نصرة الحق، ويجب على المرأة ألا تسافر إلا مع ذي محرم.

---

(١) رواه أحمد (١ / ٣١٤). (٢) رواه مسلم (١٢١). (٣) البخاري (١٨٢٠) ومسلم (١٣٥٠).
(٤) البخاري (١٧٧٣) ومسلم (١٣٤٩).

مواقيت الإحرام

والمواقيت نوعان: ميقات زماني، وميقات مكاني. فالميقات الزماني يبدأ من أول شهر شوال وينتهي بانتهاء ثاني أيام التشريق، ويجوز قبله بيوم.

والمواقيت المكانية خمسة:

١ ذو الحليفة لأهل المدينة.

٢ والجحفة[1] لأهل الشام.

٣ وقرن المنازل[2] لأهل نجد.

٤ ويلملم لأهل اليمن.

٥ وذات عرق لأهل العراق.

وواجبات الإحرام هي:

١ الإحرام من الميقات.

٢ التجرد من المخيط في حق الرجال، ومن ترك واجبًا فعليه دم.

---

(١) الناس يحرمون اليوم من رابغ. (٢) يسمى اليوم "السيل".

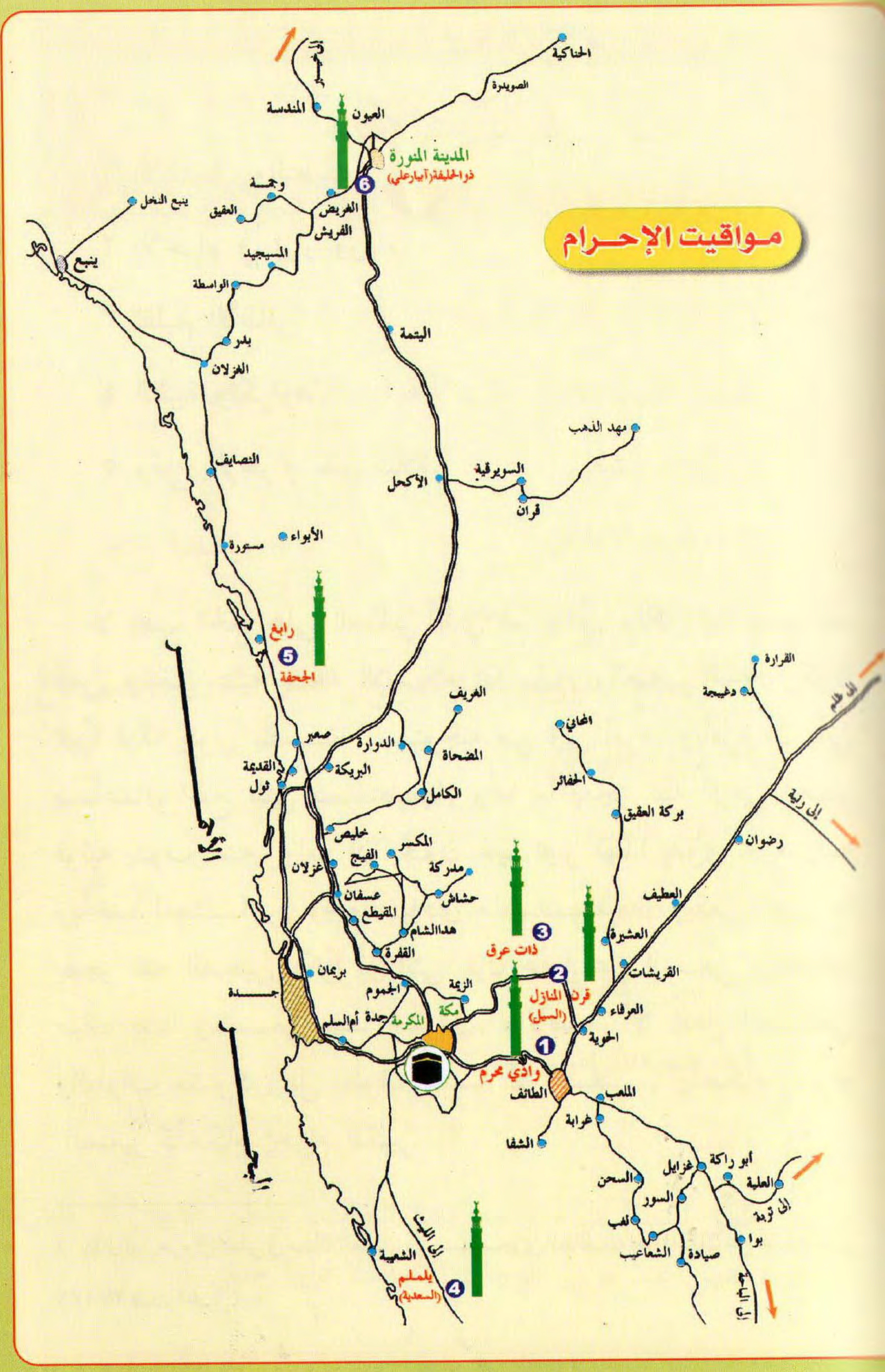
مواقيت الإحرام
الحناكية
الصويدرة
المندسة
العيون
المدينة المنورة
ذو الحليفة (آبار علي)
6
وجمة
ينبع النخل
العقيق
الفريش
المسيجيد
ينبع
الواسطة
بدر
الغزلان
اليتمة
مهد الذهب
السويرقية
الأكحل
قران
النصايف
الأبواء
مستورة
رابغ
5
الجحفة
القرارة
الغريف
المحاني
صعبر
الدوارة
المضحاة
القديمة
البريكة
ثول
الكامل
الحفائر
بركة العقيق
رضوان
إلى رنية
خليص
المكسر
الفيج
مدركة
غزلان
حشاش
عسفان
المقيطع
هداالشام
العطيف
العشيرة
3
ذات عرق
القفرة
القريشات
بريمان
2
قرن المنازل
(السيل)
الزيمة
الجموم
مكة
المكرمة
العرفاء
جدة
جدة أم السلم
الحوية
1
وادي محرم
الطائف
الملعب
غرابة
الشفا
أبو راكة
غزايل
العلية
السحن
السور
إلى تربة
لعب
بوا
الشعيبة
الشعاعيب
صيادة
يلملم
(السعدية)
4
إلى الليث
إلى الباحة

وسنن الإحرام:

١ الاغتسال والتطيب.

٢ الإحرام في إزار ورداء.

٣ تقليم الأظافر.

٤ التلبية وتكرارها.

٥ وقوع الإحرام بعد صلاة.

حج الصغير:

لا يجب الحج على الصغير الذي لم يبلغ، ولكن إذا حج فله أجر، وتبقى عليه حجة الإسلام إذا بلغ، والصغير إما أن يكون مميزًا فهذا ينوي بنفسه بتوجيه من ولي أمره، ويأمره أن يأتي بأعمال الحج التي يستطيعها، وأما ما يعجز عنه كرمي الجمار فوليه ينوب عنه، وإما أن يكون غير مميز فهذا ينوي عنه وليه ويأخذه للمشاعر، ويجعله يؤدي ما يستطيعه، ويفعل الولي ما يعجز عنه الصغير، ذكرًا أو أنثى فإن عجز عن السعي والطواف طيف بهما وسعي بهما محمولين، والأفضل ألا يجعل السعي والطواف مشتركين بل يطوف لنفسه ثم للصغير[1]، وأحكام إحرام الصغير كأحكام إحرام الكبير.

---

(١) قال ابن حزم في المحلى في مسألة الصبي: ويجزئ الطائف به طوافه ذلك عن نفسه (المحلى ٦/٢٧٩ ط دار الجيل).

محظورات الإحرام

والمحظورات ثلاثة أقسام:

القسم الأول: يحرم على الذكور والإناث وهو:

١- إزالة الشعر.

٢- تقليم الأظافر.

٣- استعمال الطيب بعد الإحرام.

٤- الجماع ودواعيه كعقد النكاح والنظر بشهوة والتقبيل إلخ.

٥- لبس القفازين.

٦- قتل الصيد.

القسم الثاني: ما يحرم على الرجال:

١- لبس المخيط.

٢- تغطية الرأس.

القسم الثالث: على الإناث دون الذكور:

يخص النساء شيء واحد وهو النقاب، ولكن عليهن أن يسترن وجوههن عند مرور الرجال الأجانب قريبًا منهن.

فإذا فعل أحد هذه المحظورات بلا عذر فعليه فدية مع كونه آثمًا. وإن فعلها لحاجة فعليه فدية ولا إثم عليه، وإن فعل أحد هذه المحظورات وهو معذور إما جاهلاً أو ناسيًا أو مكرهًا فلا إثم عليه ولافدية.

مقدار الفدية :

ذبح شاة أو إطعام ستة مساكين أو صيام ثلاثة أيام على التخيير أي: يختار واحدة منها كما يشاء دون ترتيب.

ومن المحظورات:

المباشرة بشهوة، ولبس المخيط، وإزالة الشعر والظفر، وتغطية الرأس للرجال، ولبس النقاب للمرأة، والطيب ولبس القفازين.

والفدية لترك واجب من واجبات الحج: كرمي الجمار، والمبيت بمزدلفة، والمبيت بمنى، وطواف الوداع، والإحرام من الميقات، فهذا يلزمه دم، فإن لم يجد صام عشرة أيام ثلاثة في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله، فإن لم يتمكن من صيام الثلاثة في الحج صامها مع السبعة بعد رجوعه إلى أهله.

جزاء الصيد :

إن كان للصيد مِثْلٌ خُيِّر بين ثلاثة أشياء: إما ذبح المثل وتفريق جميع لحمه على فقراء مكة، وإما أن ينظر كم يساوي هذا المِثْل فيخرج ما يقابل قيمته طعامًا لكل مسكين نصف صاع، وإما أن يصوم عن طعام كل مسكين يومًا.

فإن لم يكن للصيد مثلٌ خُير بين شيئين: إما أن ينظر كم قيمة الصيد المقتول فيخرج ما يقابلها طعامًا يفرقه على المساكين، لكل مسكين نصف صاع، وإما أن يصوم عن طعام كل مسكين يومًا.

وجوب الهدي على المتمتع والقارن:

يجب على المتمتع والقارن هدي، فإن لم يجد صام عشرة أيام: ثلاثة في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله.

فدية المحصر إن لم يجد الهدي:

يجب عليه هدي فإن لم يجد ، صام عشرة أيام كالمتمتع والقارن.

فدية الجماع:

يجب على من وطىء قبل التحلل الأول بدنة، فإن لم يجد صام عشرة أيام. ثلاثة في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله.

أركان الحج وواجباته[1]

أ- أركان الحج أربعة على الصحيح وهي:

١- الإحرام: وهو نية الدخول في النسك، فمن ترك هذه النية لم ينعقد حجه؛ لقوله (ﷺ): "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى"[2].

٢- الوقوف بعرفة:

لقوله (ﷺ): "الحج عرفة"[3].

٣- طواف الإفاضة:

لقوله تعالى:

﴿ولْيطوفوا بالبيت العتيق﴾ [الحج: ٢٩].

ولحديث عائشة في قصة صفية - رضي الله عنهما -[4].

٤- السعي بين الصفا والمروة:

لقوله (ﷺ): "اسعوا، فإن الله كتب عليكم السعي"[5] ولحديث

---

(١) راجع: مرشد المعتمر والحاج والزائر لسعيد بن علي القحطاني. (٢) البخاري (١) ومسلم (١٩٠٧).
(٣) رواه الخمسة وغيرهم وصححه الألباني في إرواء الغليل (٤/٢٥٦). (٤) البخاري (١٧٥٧) ومسلم (١٢١١). (٥) أحمد (٦/٤٢١) والحاكم (٤/٧٠) وغيرهما وصححه الألباني في الإرواء (٤/٢٦٩).

عائشة - رضي الله عنها -[1].

ب- واجبات الحج:

١- الإحرام من الميقات: لقوله (ﷺ) حينما وقّت المواقيت: "هن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن، لمن كان يريد الحج والعمرة"[2].

٢- الوقوف بعرفة إلى غروب الشمس لمن وقف نهارًا، لأن النبي (ﷺ) وقف إلى الغروب[3].

٣- المبيت بمزدلفة: لأنه (ﷺ) بات بها، وقال: "لتأخُذَ أمتي نُسُكها، فإني لا أدري، لَعلّي لا ألقاهم بعد عامي هذا"[4] ولأنه أذن للضعفة بعد منتصف الليل، فدل ذلك على أن المبيت بمزدلفة لازم، وقد أمر الله بذكره عند المشعر الحرام[5].

٤- المبيت بمنى لَيالي أيام التشريق: لأنه (ﷺ) بات بها، ولأنه أذن للعباس أن يبيت بمكة ليالي منى من أجل سقايته[6]، ورخص لرعاة الإبل في البيتوتة خارج منى[7].

٥- رمي الجمرات مرتبا: جمرة العقبة يوم النحر، والجمرات الثلاث أيام التشريق، لأن النبي (ﷺ) بدأ بجمرة العقبة، ورمى الجمرات الثلاث أيام التشريق، ولأن الله تعالى قال:

---

(١) البخاري (١٧٠٩) ومسلم (١٢٧٧). (٢) البخاري (١٨٤٥) ومسلم (١١٨١). (٣) انظر: حديث جابر في صفة حج النبي (ﷺ) في صحيح مسلم (١٢١٨). (٤) ابن ماجه بلفظه (٣٠٢٣) ومسلم بلفظ: "لتأخذوا". (٥) البخاري (١٨٥٦، ١٦٧٨) ومسلم (١٢٩٣). (٦) البخاري (١٧٤٥) ومسلم (١٣١٥). (٧) لما رواه الخمسة وانظر: إرواء الغليل (٤/ ٢٨) وانظر: واجبات الحج مع الأدلة والتعليل في شرح العمدة لابن تيمية (٢/ ٦٠٢-٦٤٨).

﴿ ۞ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

ولحديث جابر - رضي الله عنه - حيث قال فيه ... .[١]

٦- الحلق أو التقصير: لأن النبي (ﷺ) أمر به فقال: "وليقصر وليحلل"[٢] والحلق أفضل لأنه (ﷺ) دعا للمحلقين ثلاثا وللمقصرين مرة[٣].

٧- طواف الوداع: لأمره (ﷺ) بذلك: "لا ينفرَنَّ أحد حتى يكون آخر عهده بالبيت"[٤] ولقول ابن عباس - رضي الله عنهما- : "أُمِرَ الناسُ أن يكون آخر عهدهم بالبيت إلا أنه خُفِّفَ عن المرأة الحائض".[٥]

فمن ترك ركنًا ، لم يتمَّ نسكه إلا به، ومن ترك واجبًا جبره بدم، ومن ترك سنة فلا شيء عليه[٦] .

ودليل وجوب الدم على تارك الواجب قول ابن عباس - رضي الله عنهما -:(من نسي من نسكه شيئًا أو تركه فليُهرق دمًا)[٧].

---

(١) مسلم (١٢٩٧). (٢) مسلم (١٢٢٧). (٣) البخاري (١٧٢٧) ومسلم (١٣٠٢). (٤) مسلم (١٣٢٧). (٥) البخاري (١٧٥٥) ومسلم (١٣٢٨). (٦) انظر: شرح العمدة لابن تيمية (٢/ ٦٥٤) ومنار السبيل (١/ ٢٦٣) وحاشية الروض لابن قاسم (٤/ ٢٠٤). (٧) مالك في الموطأ (١/ ٤١٩) والدارقطني (٢/ ٢٤٤) والبيهقي (٥/ ١٥٢) قال الألباني: ثبت موقوفًا وانظر إرواء الغليل (٤/ ٢٩٩).

أركان العمرة وواجباتها

أ- أركان العمرة ثلاثة: [1]

١- الإحرام: وهو نية الدخول فيها لحديث: "إنما الأعمال بالنيات"[2].

٢- الطواف.

٣- السعي: قال (ﷺ) في الطواف والسعي: "ومن لم يكن منكم أهدى فليطف بالبيت وبالصفا والمروة.."[3] وقال في السعي: "اسعوا، فإن الله كتب عليكم السعي"[4].

ب - واجبات العمرة اثنان:

١- الإحرام بها من الحل: لأمره (ﷺ) عائشة أن تعتمر من التنعيم[5]، ولحديث ابن عباس - رضي الله عنهما - في المواقيت.

٢- الحلق أو التقصير: لقوله (ﷺ): "وليقصر وليحلل"[6] فمن ترك ركنًا، لم تتم عمرته إلا به، ومن ترك واجبا جبره بدم،

(١) انظر: حاشية الروض (٤/ ٢٠٣) ومنار السبيل (١/ ٢٦١). (٢) البخاري (١) ومسلم (١٩٠٧). (٣) البخاري (١٦٩١) ومسلم (١٢٢٧). (٤) مسند أحمد (٦/ ٤٢٢) والحاكم (٤/ ٧٠) وغيرهما وصححه الألباني في الإرواء (٤/ ٢٦٩). (٥) البخاري (١٧٨٣) ومسلم (١٢١١). (٦) البخاري (١٦٩١) ومسلم (١٢٢٧).

ومن وقع في الجماع قبل التقصير أو الحلق في العمرة فعليه شاة، لفتوى ابن عباس - رضي الله عنهما -، وعمرته صحيحة[1].

ومن وقع في الجماع قبل الطواف بالبيت لعمرته فسدت إجماعا، وإن كان الجماع بعد الطواف وقبل السعي فسدت كذلك عند الجمهور، وعليه في الحالتين المضي في فاسدها، والقضاء والهدي[2].

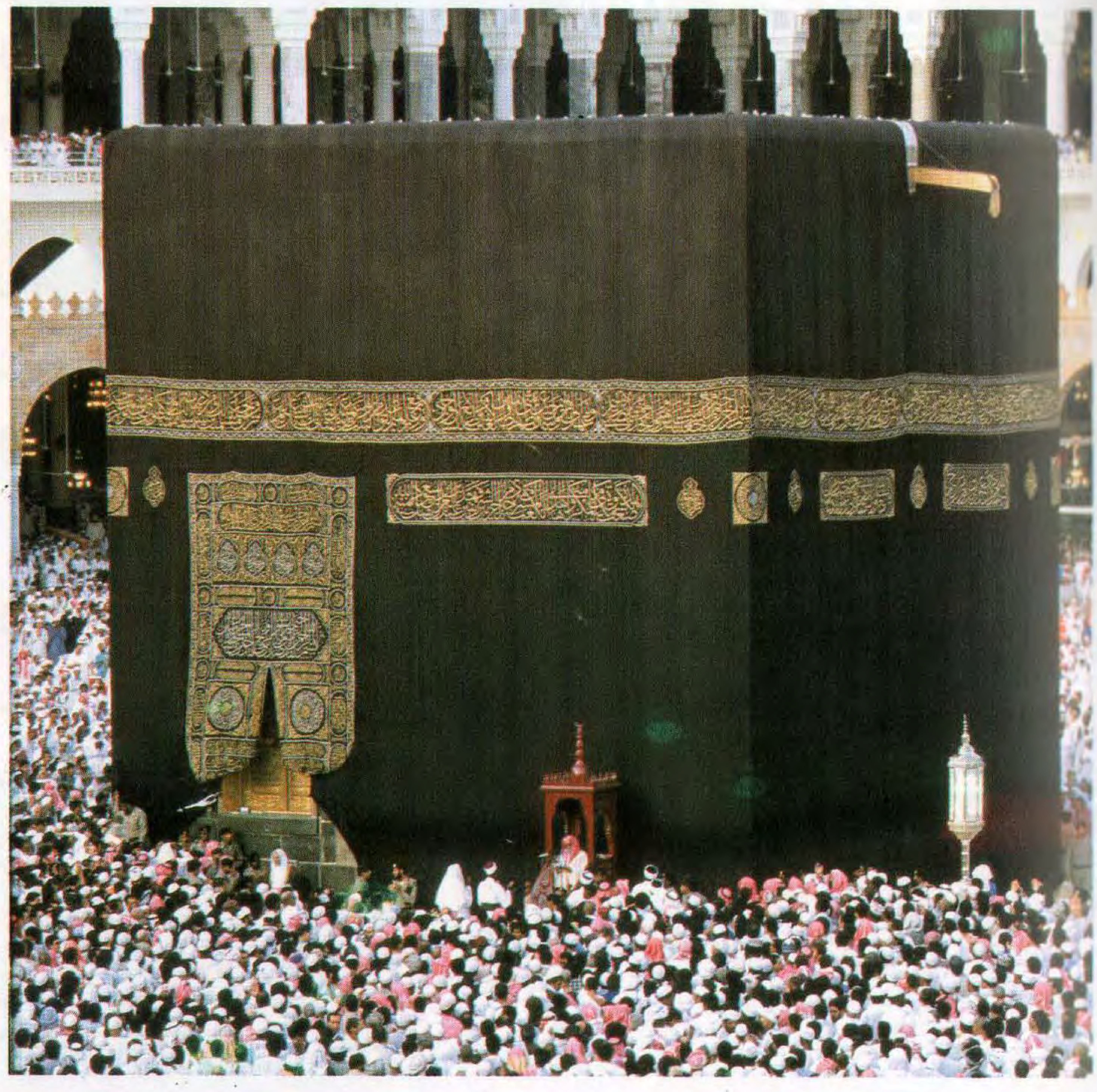

(١) انظر: سنن البيهقي (٥/١٧٢) قال الألباني في إرواء الغليل: صحيح موقوفًا (٤/٢٣٣) وانظر حاشية الروض (٤/٥٤) وأضواء البيان (٥/٣٨٩). (٢) أضواء البيان (٥/٣٨٩) والاستذكار لابن عبد البر (١٢/٢٩٠).

ما يفعله الحاج عند دخول مكة

إذا وصل الحاج إلى المسجد الحرام سُنّ له تقديمُ رجله اليمنى ويقول: "بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم"[١]، "اللهم افتح لي أبواب رحمتك"[٢]. فإذا وصل الكعبة قطع التلبية قبل أن يشرع في الطواف إن كان متمتعًا أو معتمرًا، ثمّ قصد الحجر الأسود واستقبله، ثم يستلمه بيمينه ويقبله، فإن شق التقبيل استلمه بيده أو بعصًا وقبَّل ما استلمه به، فإن شق استلامه أشار إليه ويقول عند استلامه: "الله أكبر" ولا يقبِّل ما يشير به.

ويطوف سبعة أشواط يرمل[٣] في الثلاثة الأُوَل - وذلك في طواف القدوم - ويمشي في الأربعة الباقية، يبتدىء كل شوط بالحجر الأسود وينتهي به. ويستحب له أن يضطبع[٤] في جميع هذا الطواف دون غيره. إن شك في عدد الأشواط بنى على اليقين وهو الأقل، فإن شك هل طاف خمسة أشواط أو ستة

(١) أبو داود (٤٦٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) مسلم (٧١٣). (٣) الرمل: الإسراع في المشي مع مقاربة الخطى.

(٤) الاضطباع: أن يجعل وسط الرداء تحت منكبه الأيمن وطرفيه على عاتقه الأيسر.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾

[البقرة:٢٠١]

جعلها خمسة وهكذا يفعل، وبعد فراغه من هذا الطواف يرتدي بردائه، فيجعله على كتفيه وطرفيه على صدره، قبل أن يصلي ركعتي الطواف. ينبغي أن يكون حال الطواف متطهرًا من الأحداث والأخباث، ويُستحب أن يكثر في طوافه من ذكر الله - تعالى - والدعاء، وليس في الطواف ولا في السعي ذكر مخصوص، وأما ما أحدثه بعض الناس من تخصيص كل شوط بدعاء فلا أساس له، فإذا حاذى الركن اليماني استلمه بيمينه وإن قال: "بسم الله والله أكبر" ولا يقبِّله فإن شق عليه استلامه تركه ومضى في طوافه، ولا يشير إليه، ولا يكبر عند محاذاته ويستحب له أن يقول بين الركن اليماني والحجر الأسود:

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:٢٠١][1]

وكلما حاذى الحجر الأسود استلمه وقبَّله وقال: الله أكبر، فإن

---

(١) أخرجه أحمد (١١/٣) وابن خزيمة وأبو داود وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٣٥٤/١).

لم يتيسر استلامه وتقبيله أشار إليه كلما حاذاه ويقول: الله أكبر.

ولا بأس بالطواف من وراء زمزم، والمسجد كله محل للطواف، ولو طاف في أروِقة المسجد أجزأه، ولكن طوافه قرب الكعبة أفضل. فإذا فرغ من الطواف صلى ركعتين خلف المقام إذا تيسر له ذلك، فإن لم يتيسر ذلك لزحام ونحوه صلى الركعتين في أي موضع من المسجد ويسن أن يقرأ في الركعة الأولى "الفاتحة" و"قل يأيها الكافرون" وفي الثانية "الفاتحة" و"قل هو الله أحد". و يستحب له أن يذهب إلى زمزم ويشرب منها ويصُبَّ على رأسه، لفعله (ﷺ). ثم يقصد الحجر الأسود فيستلمه بيمينه إن تيسر له اقتداء بالرسول (ﷺ)، ثم يخرج إلى الصفا من بابه فيرقاه[1] أو يقف عنده - والرقي أفضل إن تيسر - ويقرأ عند ذلك قوله تعالى:

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٥٨].

ويستحب أن يستقبل القبلة ويحمد الله ويكبره ويقول: "لا إله إلا الله، والله أكبر، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده أنجز وعده، ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده"[2] ثم يدعو رافعًا يديه، ويكرر هذا الذكر والدعاء ثلاث مرات، ثم ينزل فيمشي إلى المروة حتى يصل إلى العَلَم الأول الأخضر، فيُسرع الرجل في المشي إلى أن يصل العلم الثاني، أما المرأة فلا يُشرع لها

(١) يرقى: يصعد. (٢) مسلم (١٢١٨).

الإسراع.

ثم يمشي فيرقى المروة ويقف عندها - والرقي أفضل إن تيسر ذلك - ويقول ويفعل على المروة كما قال وفعل على الصفا.

ثم ينزل، فيمشي في موضع المشي ويسرع في موضع الإسراع

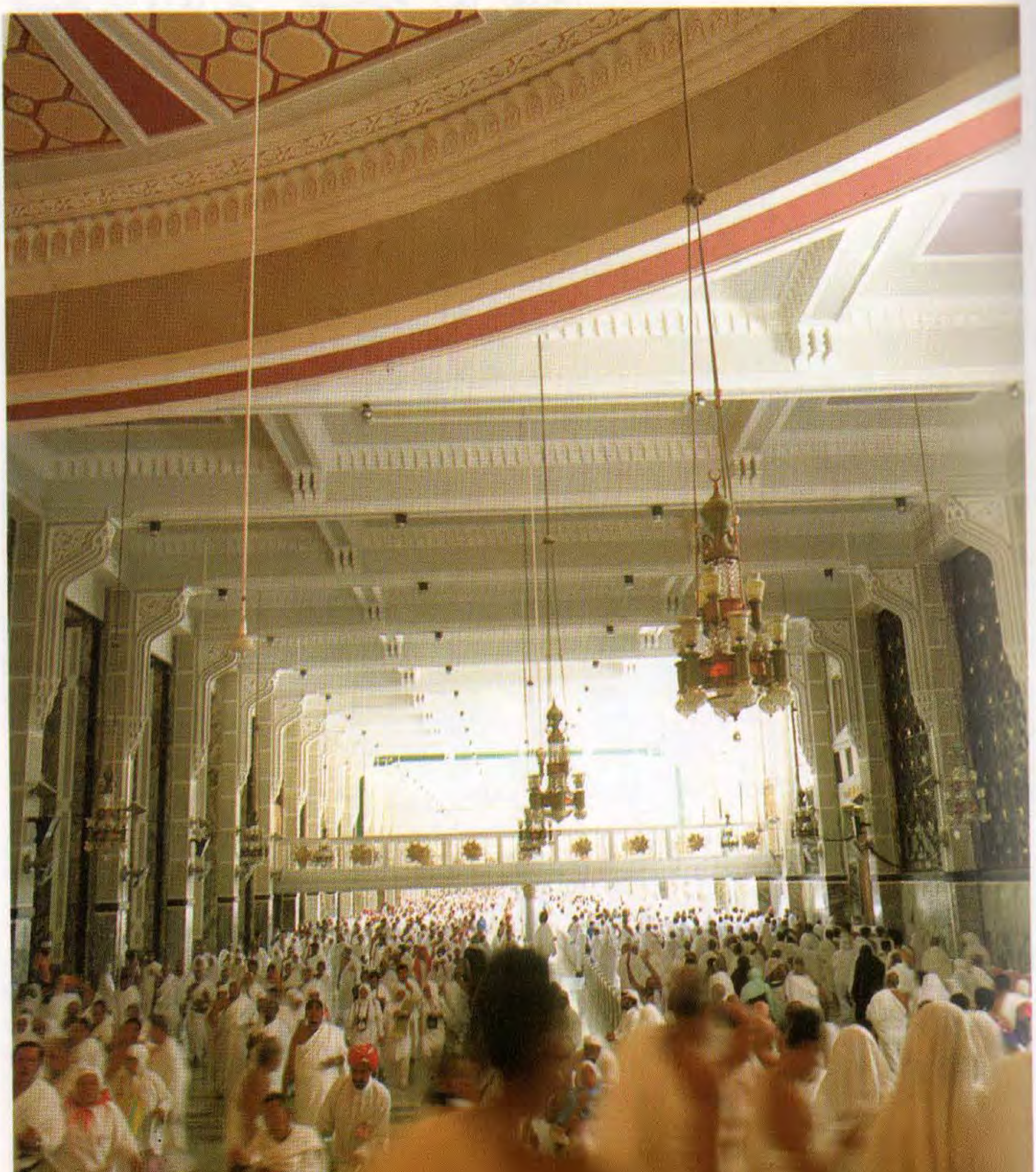

حتى يصل إلى الصفا، يفعل ذلك سبع مرات ذهابه سعيةٌ، ورجوعه سعية، ويستحب أن يكثر في سعيه من الذكر والدعاء وأن يكون متطهرًا من الأحداث والأخباث، ولو سعى على غير طهارة أجزأه ذلك، وهكذا لو حاضت المرأة أو نفست بعد الطواف وسعت أجزأها ذلك، لأن الطهارة ليست شرطًا في السعي، وإنما هي مستحبة كما تقدم.

فإذا كمل السعي حلق رأسه أو قصّره، والحلق للرجل أفضل، فإن قصَّر وترك الحلق للحج فحسنٌ، وإن كان قدومه مكة قريبًا من وقت الحج فالتقصير في حقه أفضل، ليحلق بقية رأسه في الحج، ولا بد في التقصير من تعميم الرأس، ولا يكفي تقصير بعضه، كما أن الحلق بعضه لا يكفي، فإذا فعل المحرم ما ذكر فقد تمت عمرته وحل له كل شيء حرم عليه بالإحرام، إلا أن يكون قد ساق الهدي من الحل، فإنه يبقى على إحرامه حتى يحل من الحج والعمرة جميعًا.

وأما من أحرم بالحج مفردًا، أو بالحج والعمرة جميعًا، فيسن له أن يفسخ إحرامه إلى العمرة ويفعل ما يفعله المتمتع، إلا أن يكون قد ساق الهدي، لأن النبي (ﷺ) أمر أصحابه بذلك وقال: "لولا أن معي الهديَ لأحللت"[1] وإذا حاضت المرأة أو نفست بعد إحرامها بالعمرة لم تطف بالبيت ولا تسعى بين الصفا والمروة حتى تطهر. فإذا طهرت طافت وسعت وقصّرت من

(١) البخاري (٢٥٠٦،٢٥٠٥).

رأســـها، وتمّت عمرتها بـــذلك. فإن لم تطهر قبـــل يوم التروية أحـــرمت بـــالحج من مكانها الذي هي مقـــيمة فيه، وخرجت مع الناس إلى منى، وتصير بذلك قـارنة بـين الحج والعمرة وتفعل ما يفعله الحاج: من الوقـــوف بـــعرفة، وعند المشـــعر الحرام، ورمي الجمار، والمبيت بمزدلفة ومنى، ونحرُ الهدي والتقصير، فإذا طهرت

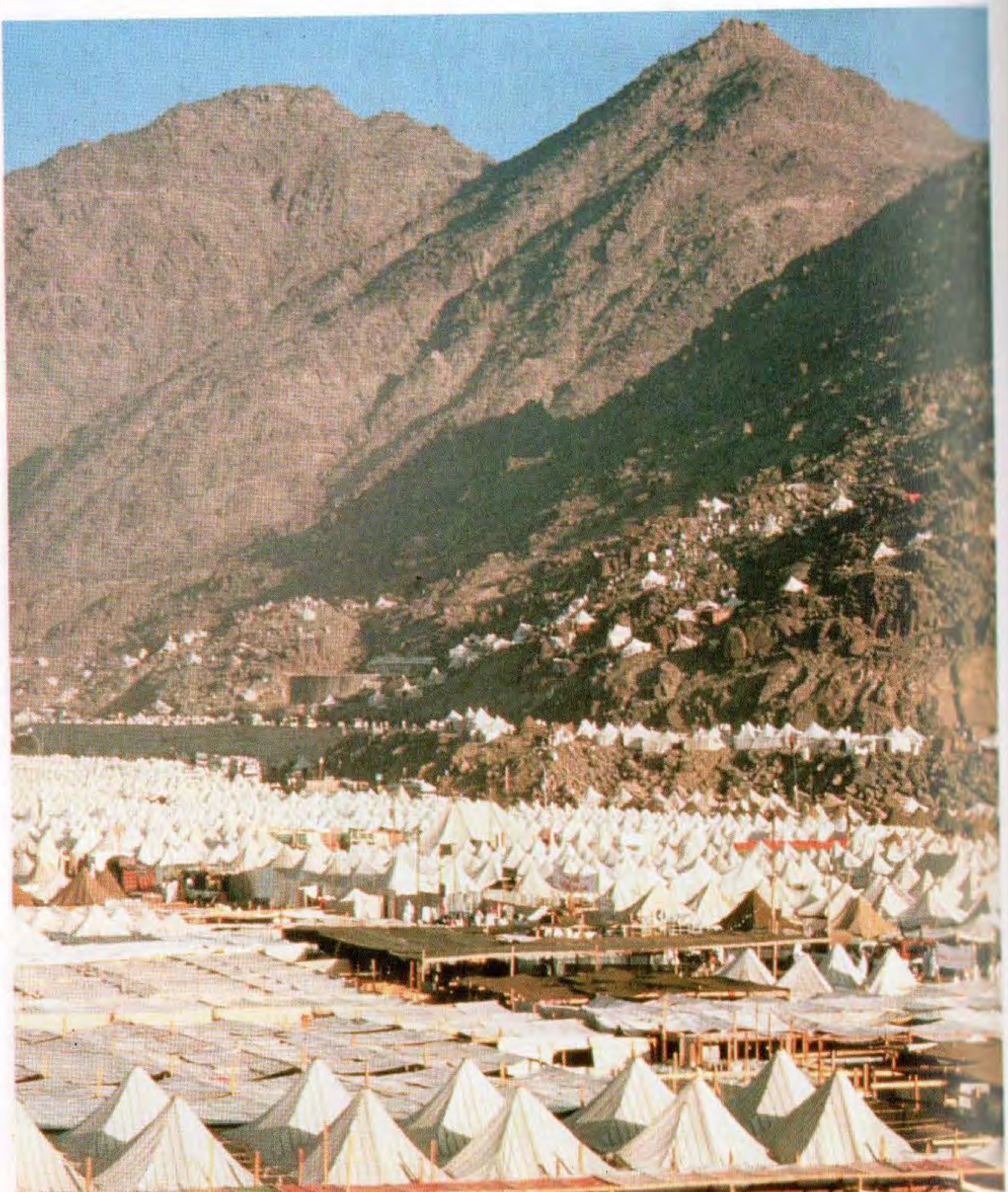

طافت بالبيت وسعت بين الصفا والمروة طوافًا واحدًا وسعيًا واحدًا، وأجزأها ذلك عن حجها وعمرتها جميعًا لحديث عائشة: أنها حاضت بعد إحرامها بالعمرة فقال لها النبي (ﷺ):

"افعلي ما يفعل الحاج غير أن لا تطوفي بالبيت حتى تطهري"[1].

وإذا رمت الحائض والنفساء الجمرة يوم النحر وقصرت من شعرها حلّ لها كل شيء حرم عليها بالإحرام، كالطيب ونحوه إلا الزوجَ حتى تكمل حجها كغيرها من النساء الطاهرات، فإذا طافت وسعت بعد الطهر حل لها زوجها.

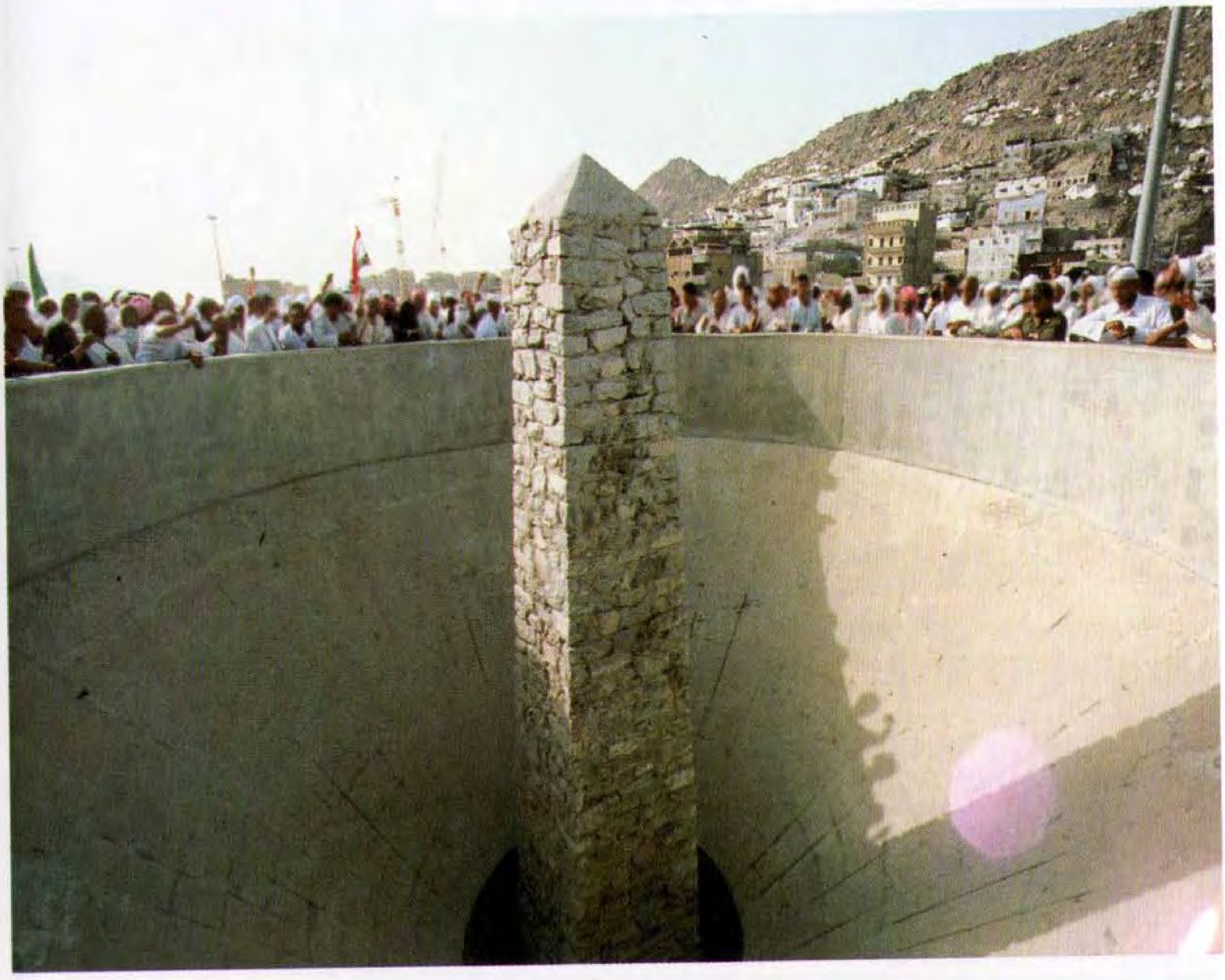

(١) البخاري (١٦٥٠) ومسلم (١٢١١).

وحكمه عند الجمهور أنه ركن لا يتم الحج بدونه.

شروط السعي:

١- النية.

٢- أن يكون بعد طواف صحيح.

٣- البدء بالصفا والانتهاء بالمروة.

٤- أن تكون الأشواط سبعة كاملة.

٥- أن يكون السعي في المسعى المعروف.

وسنن السعي:

١- أن يكون متصلاً بالطواف إلا لعذر.

٢- الصعود على الصفا والمروة والتهليل والتكبير.

٣- الإسراع بشدة قدر المستطاع بين العلمين الأخضرين للرجال دون النساء والمشي الطبيعي فيما عدا ذلك.

الخروج إلى منى

وفي اليوم الثامن من ذي الحجة - يوم التروية - يستحب للمُحِلِّين بمكة ومن أراد الحج من أهلها الإحرام بالحج من مساكنهم ويُستحب الغسل والتطيب عند إحرامه بالحج، وبعد الإحرام يُسَنَّ التوجه إلى منى قبل الزوال أو بعده، ويكثروا من التلبية ويصلُّون بمنًى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر قصرًا في الصلوات التي تَقْبَلُ القصر وهي الصلوات الرباعية، ويقصُر أهلُ مكة مثل غيرهم.

الخروج إلى عرفة

بعد طلوع الشمس في اليوم التالي - أي يوم عرفة - يتوجه الحاج من منى إلى عرفة، ويسن أن ينزلوا بنمرة إلى الزوال إذا تيسر، ثم يُصَلُّوا الظهر والعصر قصرًا وجمعًا جمع تقديم بأذان واحد وإقامتين، ويسن للإمام أن يسبق هذه الصلاة بخطبة، يبين فيها ما يشرع للحاج، ويأمر الناس بتقوى الله، والتمسك بكتابه وسنة رسوله.

بعد الصلاة يقف الناس بعرفة - وكلها موقف إلا بطن عُرَنَة - ويستحب استقبال القبلة وجبل الرحمة، فإن لم يتيسر استقبالهما استقبل القبلة وإن لم يستقبل الجبل، ويستحب للحاج في هذا الموقف أن يجتهد في ذكر الله ودعائه والتضرع إليه، ويسن أن يكثر من قول: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يُحيي ويميت وهو على كل شيء قدير". والأدعية المأثورة كثيرة يرجع لها في كتب الأذكار.

معنى الوقوف بعرفة :

معناه الوقوف بعرفات ولو لحظة بنية الوقوف سواء أكان واقفًا أم جالسًا أم راكبًا، وسواء أكان عالمًا بها أم لا، وذلك في وقت

الوقـوف من زوال الشـمس يوم التاسـع حـتى طلوع الفجر ليلة العاشر.

حكمه:

هو ركن بـالإجماع لا يتم الحج إلا بـه، ومن فاته الوقـوف بعرفة ينقلب حجه إلى عمرة، وتسقط عنه توابع الوقوف بعرفة، كالمبـيت بمزدلفة وبمنى ورمي الجمار، فيطوف ويسـعى ويحلق أو يقصر، وعليه قضاء الحج الذي فاته ولو كان مندوبًا وعليه الهدي - ذبـح شـاة -فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبـعة إذا

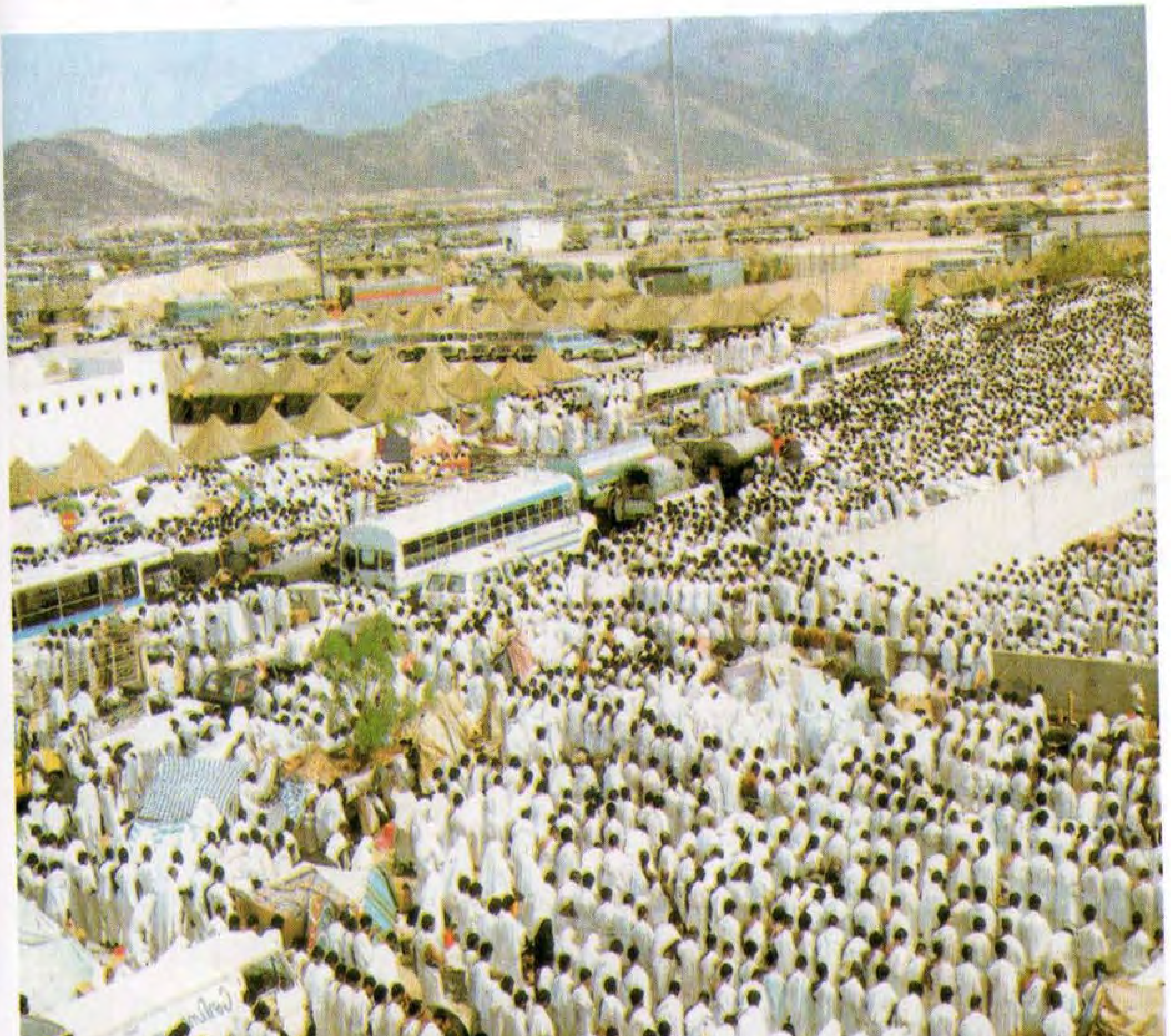

رجع إلى أهله.

شروط الوقوف بعرفة :

للوقوف شروط يتعلق بعضها بالمكان وبعضها الآخر بالزمان وبعضها بالواقف.

١- المكان :

أجمع العلماء على أن عرفات بحدودها المعروفة المحدودة حاليًّا بالأعلام، كلها موقف. ففي أي جزء منها وقف صح حجه.وبطن عُرَنة ليس من عرفات فلا يصح الوقوف فيه.

٢- الزمان :

وقت الوقوف يبدأ بزوال الشمس يوم عرفة على الصحيح، ويستمر إلى طلوع الفجر ليلة العاشر، فمن وقف نهارًا؛ وجب عليه البقاء إلى الغروب، ومن وقف ليلاً أجزأه ولو لحظة، لقول النبي (ﷺ): "الحج عرفة فمن أدرك ليلة عرفة قبل طلوع الفجر من ليلة جمع فقد تم حجه"[1].

(١) انظر سنن النسائي (٣٠١٩) والملخص الفقهي للدكتور صالح الفوزان (٣٠٤،١/ ٣٠٣).

الانصراف إلى مزدلفة والمبيت بها

فإذا غربت الشمس من يوم عرفة انصرف الحجاج إلى مزدلفة بسكينة ووقار، وأكثروا من التلبية، وأسرعوا في المتسع لفعل النبي (ﷺ)، ولا يجوز الانصراف قبل الغروب، فإذا وصلوا إلى مزدلفة صلوا بها المغرب ثلاث ركعات والعشاء ركعتين جمعًا بأذان واحد وإقامتين، سواءٍ وصلوا إلى مزدلفة في وقت صلاة المغرب أم بعد دخول وقت العشاء، وبعض الحجاج ينصرف إلى جمع حصى الجمار من حين وصوله وقبل الصلاة، وهذا لا أصل له. والنبي (ﷺ) لم يأمر أن يلتقط له الحصى إلا بعد انصرافه من المشعر، ويبيت الحاج في هذه الليلة بمزدلفة، ويجوز للضعفاء من النساء والصبيان ونحوهم أن يدفعوا إلى آخر الليل. أما غيرهم من الحجاج فيتأكد في حقهم أن يقيموا بها إلى أن يصلّوا الفجر ثم يقفوا عند المشعر الحرام، فيستقبلوا القبلة ويكثروا من ذكر الله تعالى والدعاء إلى أن يسفروا جدًّا. وحيثما وقفوا من مزدلفة أجزأهم ذلك، ولا يجب عليهم القرب من المشعر ولا صعوده، لقول النبي (ﷺ): "وقفت ههنا - يعني على المشعر- المزدلفة كلها موقف"[1] وجمع هي مزدلفة، فإذا أسفروا جدًّا انصرفوا إلى منى

(١) مسلم (١٢١٨) وصحيح ابن خزيمة (٢٨٥٧).

قبل طلوع الشمس، وأكثروا من التلبية في سيرهم، فإذا وصلوا إلى مُحسِّرٍ استحب أن يسرعوا قليلاً.

هل يسقط المبيت بمزدلفة؟

نعم يسقط المبيت بمزدلفة عن بعض الناس، فهو يسقط عن شخص لم يتمكن من الإتيان إلى عرفة إلا قبيل طلوع الفجر لسبب من الأسباب، كتعطل سيارة أو تأخر طائرة أو نحو ذلك، كما يسقط عن شخص أصابه مرض ليلة العيد فخرج للعلاج، ولم يعد إليها بسبب مرضه.

حكم المبيت بمزدلفة:

الوقوف بمزدلفة واجب ومن تركه لزمه أن يجبره بدم. وذهب بعض أهل العلم إلى أنه ركن لا يتم الحج إلا به، والصحيح أنه واجب.

ومن ترك المبيت بمزدلفة لعذر فلا شيء عليه وحجه صحيح. ومن ترك المبيت بمزدلفة بغير عذر فعليه دم.

﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾

الرُّجُوعُ إِلَى مِنًى

إذا أسفر الفجر جدًّا بمزدلفة انصرف الحجاج إلى منى قبل طلوع الشمس، وأكثروا من التلبية في سيرهم، فإذا وصلوا إلى مُحَسِّر استحب الإسراع قليلاً، فإذا وصلوا إلى منى قطعوا التلبية عند جمرة العَقَبة، ثم رموها من حين وصولهم بسبع حصيات متعاقبات، يرفع يده عند رمي كل حصاة ويكبر، ويستحب أن يرميها من بطن الوادي ويجعل الكعبة عن يساره ومنى عن يمينه - لفعل النبي (ﷺ) - وإن رماها من الجوانب الأخرى أجزأه إذا وقع الحصى في المرمى، ويكون حصى الجمار مثل حصى الخذف، وهو أكبر من الحمص قليلاً، ثم بعد الرمي يذبح هديه ثم يحلق أو يقصر، والحلق أفضل.

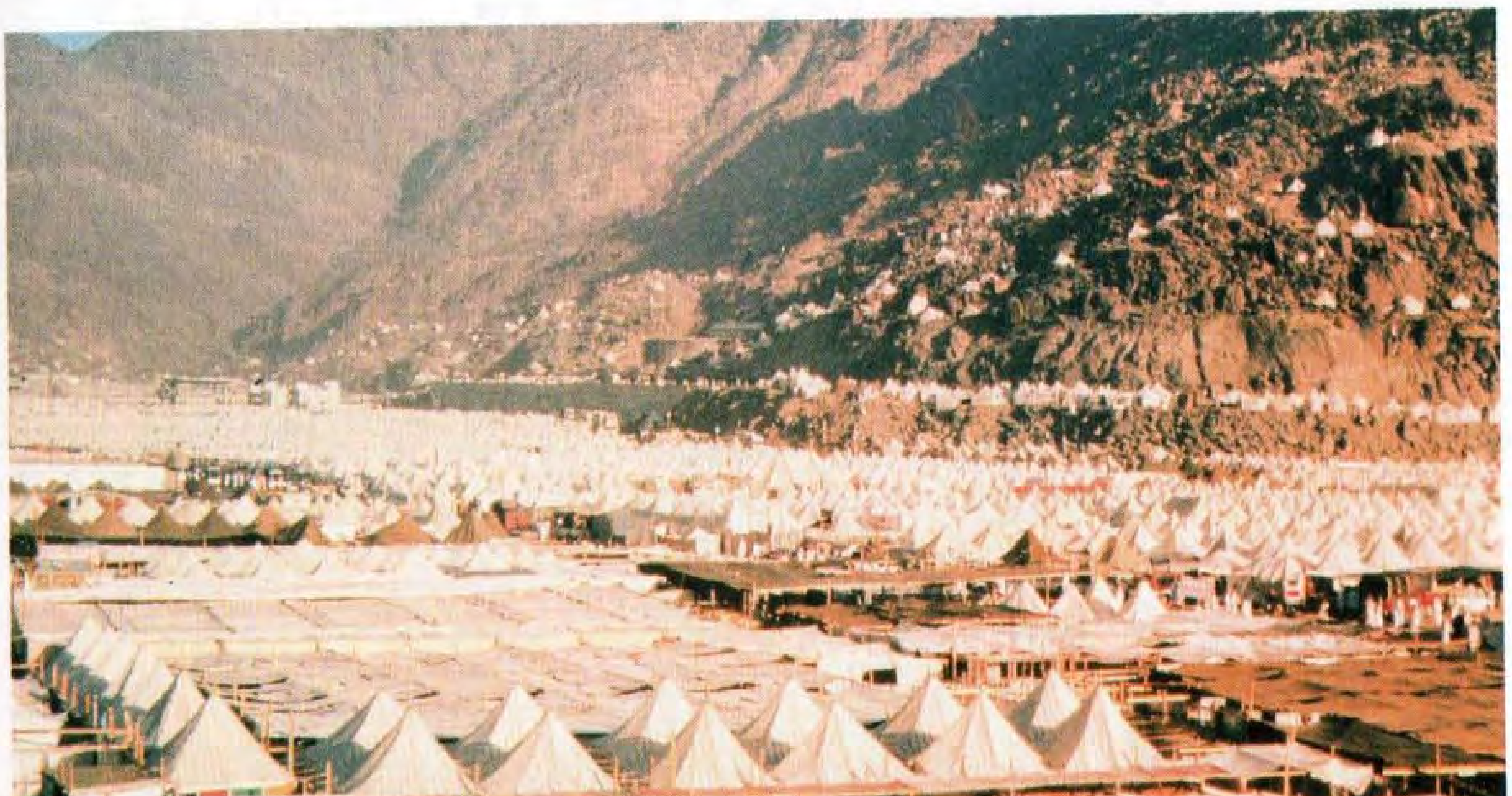

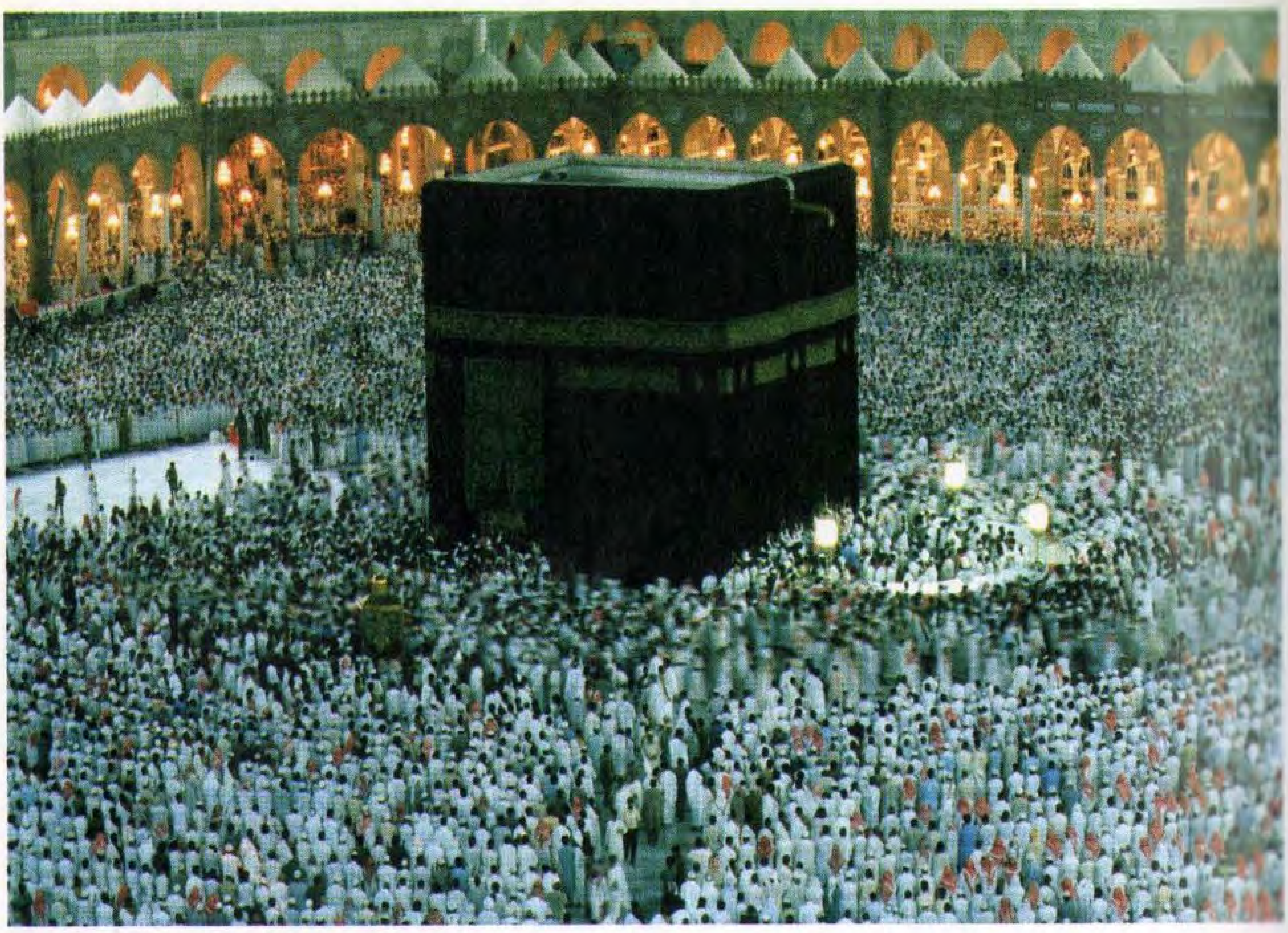

التحلل الأول:

بعد رمي جمرة العقبة والحلق أو التقصير يباح للمحرم كل شيء حرم عليه إلا النساء، ويسمى هذا: التحلل الأول.

طواف الإفاضة:

يسمى الطواف الذي يأتي بعد التحلل الأول: طواف الإفاضة وطواف الزيارة، وهو ركن من أركان الحج لا يتم الحج إلا به.

السعي للمتمتع:

بعد طواف الإفاضة وصلاة ركعتين خلف المقام يسعى الحاج بين الصفا والمروة إن كان متمتعًا وهذا السعي لحجه والسعي الأول لعمرته.

وُجُوبُ الهَدْيِ عَلى المُتَمَتِّعِ وَالقَارِنِ

الهديُ هو ما يقدمه الحاج أو المعتمر تقربًا لله تعالى من بهيمة الأنعام - كالإبل والبقر والغنم - ويجب على الحاج إذا كان متمتعًا أو قارنًا ولم يكن من حاضري المسجد الحرام، دم أي هدي وهو شاة أو سبع بدنة أو سبع بقرة، ويجب أن يكون ذلك من مال حلال، لأن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا.

فإن عجز المتمتع والقارن عن الهدي وجب عليه أن يصوم ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله، وهو مخير في صيام الثلاثة، إن شاء صامها قبل يوم النحر، وإن شاء صامها في أيام التشريق الثلاثة قال تعالى:

﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ﴾ [البقرة:١٩٦].

وفي صحيح البخاري عن عائشة وابن عمر قالا: "لم يُرَخَّصْ في أيام التشريق أن يُصَمْنَ إلا لمن لم يجد الهدي"[(١)] وهذا في

(١) البخاري (١٩٩٨، ١٩٩٧).

حـــكم المرفوع إلى النبي (ﷺ) والأفضل أن يقـــدم صوم الأيام الثلاثة على يوم عرفة ليكون في يوم عرفـة مفطـرًا، لأن النـبي (ﷺ) وقـف يوم عرفة مفطِرًا، ونهى عن صوم يوم عرفة بـعرفة، ويجوز صوم الثلاثة الأيام متتابـعة أو متفرقـة، وكذا صوم السبـعة لا يجب عليه التتابـع فيها، بـل يجوز صومها مجتمعة ومتفرقـة، والأفضل تأخير صوم السبعة إلى أن يرجع إلى أهله لقوله تعالى:

﴿ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾ .

شروط الهدي :

يشترط في الهدي ما يأتي:

١- أن يكون من بهيمة الأنعام وهي على ترتيب الأفضلية: الإبل، والبقر والغنم. والبدنة والبقرة تقوم الواحدة منهما مقام سبع شياهٍ.

٢- أن يكون الهدي سـليمًا خاليًا من العيوب التي تمنع الإجزاء في الأضحـية، فلا تُجزئُ المريضة البـيِّن مرضها، ولا العوراء البين عورها، ولا العرجاء البين ضلعها.

٣- أن يكون سِنُّه - على المشـهور -: من الإبـل خمس سنوات، ومن البقـر سـنتين، ومن المعز سـنة، ومن الضأن سـتة أشهر[1] .

---

(١) الجذع من الضأن ما أكمل السنة هو قول الجمهور وقيل: ستة أشهر قاله الحافظ في الفتح (١٠/٧).

ترتيب مناسك يوم النحر

الأفضل في مناسك يوم النحر أن ترتب هكذا:

أولاً- رمي جمرة العقبة.

ثانيًا- النحر.

ثالثًا- الحلق أو التقصير .

رابعًا- الطواف بالبيت.

خامسًا- السعي للمتمتع. وكذلك للمفرد والقارن إذا لم يسعيا مع طواف القدوم.

هذا هو الأفضل، ولكن لو قدم بعض الأمور على بعض أجزأه ذلك لثبوت الرخصة عن النبي (ﷺ) في ذلك، ويدخل في ذلك تقديم السعي على الطواف، وقد ثبت عن النبي (ﷺ) أنه سئل عمن سعى قبل أن يطوف فقال: "افعل ولا حرج"[1].

(١) الموضوع أكثر تفصيلاً في كتاب الحج والعمرة والزيارة للشيخ ابن باز- رحمه الله -، وبداية المجتهد، والفقه على المذاهب الأربعة لعبدالرحمن الجزيري.

التحلل الأكبر

قلنا: إنه بعد رمي جمرة العقبة والحلق أو التقصير يحلُّ للحاجِّ كل شيء إلا النساء - ويسمى هذا: التحلل الأول أو الأصغر - فإذا رمى جمرة العقبة وحلق أو قصّر، ثم طاف طواف الإفاضة وسعى بين الصفا والمروة إذا كان عليه سعي، أُحل له كل شيء حتى النساء ويسمى هذا التحلل الثاني أو الأكبر.

وبعد أن يتحلل يُستحب للحاج الشرب من ماء زمزم والتضلع منه، ويدعو بما تيسر له من الدعاء النافع[1] وروى البيهقي بإسناد صحيح: أن عبدالله بن المبارك كان إذا شرب من ماء زمزم استقبل الكعبة، وقال: اللهم إن رسول الله (ﷺ) قال: "ماء زمزم لما شُرب له" وها أنا أجعله لعطشٍ يوم القيامة[2].

(١) الحج والعمرة والزيارة للشيخ ابن باز ص (٤٧). (٢) شعب الإيمان للبيهقي (٤١٢٨) وانظر كتاب "إزالة الدهش والوله" لمحمد بن إدريس القادري ص (١٦٢).

الرُّجُوعُ إِلَى مِنًى

بعد طواف الإفاضة والسعي - ممن عليه سعي - يرجع الحاج إلى منى، فيقيمون بها ثلاثة أيام بلياليها، ويرمون الجمار الثلاث، في كل يوم بعد زوال الشمس، ويجب الترتيب في رميها، فيبدأ بالجمرة الأولى وهي التي تلي مسجد الخيف ثم يرمي الجمرة الثانية، ثم الثالثة، والرمي في اليومين الأولين من أيام التشريق واجب وكذا المبيت بمنى، ثم بعد الرمي في اليومين المذكورين من أحب أن يتعجل من منى جاز له، ومن تأخر وبات الليلة الثالثة ورمى الجمرات في اليوم الثالث، فهو أفضل وأعظم أجرًا.

وبالنسبة لوقت الرمي: فإن رمي جمرة العقبة يبدأ بعد طلوع الشمس يوم النحر ويستمر إلى الغروب، أما في أيام التشريق فيبدأ وقت الرمي بعد الزوال ويستمر إلى المغيب.

وقد أفتى العلماء - ومنهم الشيخ ابن باز رحمه الله - أنه يجوز الرمي ليلاً.

ويجوز لمن يعجز عن الرمي إنابة غيره، ويشترط فيمن يوكله أن يكون حاجًّا ذلك العام، ويرمي الموكَّل عن نفسه أولاً ثم عن موكِّله.

شروط رمي الجمار :

يشترط لصحة رمي الجمار ما يأتي:

١- أن تكون سبع حصيات لكل جمرة.

٢- أن تكون سبع رميات فلو رماها كلها، أو كل اثنتين معًا، أو كل ثلاث لم تجزئه ويعتبر ما رمي معًا واحدة.

٣- أن يكون الرمي باليد عند القدرة على ذلك.

٤- أن يكون الرمي بحصيات فلا يرمي بحذاء أو طين أو حديد أو غير ذلك.

٥- أن يقصد المرمى فلو قصد غيره ووقعت فيه لم تجزئه.

٦- أن يتحقق من إصابة المرمى، ولا يلزم استمرارها.

٧- الترتيب بين الجمرات بأن يبدأ بالصغرى ثم الوسطى ثم العقبة الكبرى.

ذكر بعض المؤسسات الخيرية والجامعات والمكتبات بمكة المكرمة

رابطة العالم الإسلامي:

رابطة العالم الإسلامي مؤسسة إسلامية شعبية محضة، لا ترتبط بأي حكومة، بل هي مستقلة تحاول أن تجمع قوى الخير العاملة في الحقل الإسلامي، ومناهضة الأفكار الداخلية التي تعمل ضد عقيدة المسلمين وأوطانهم، ولا تتدخل في الشؤون الداخلية للدول.

تأسست سنة ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م في أعقاب المؤتمر الإسلامي الأول بمكة المكرمة.

ومن أهدافها:

١- العمل على تحكيم الشريعة الإسلامية في بلاد الإسلام.

٢- الاستفادة من الحج في مجال التوعية الإسلامية.

٣- تشجيع الدعاة الإسلاميين في كافة أنحاء العالم الإسلامي، للعمل على نشر الإسلام.

٤- نشر التعليم الإسلامي بإنشاء المدارس والمعاهد الإسلامية في كافة أنحاء العالم.

٥- العمل على نشر لغة القرآن.

وهناك أهداف غيرها.

الهيئات الرئيسية والمجالس بالرابطة :

أ - المؤتمر الإسلامي العام، وهو أعلى سلطة تشريعية.

ب- المجلس التأسيسي، وهو الذي يرسم سياسة الرابطة، ويصدر القرارات والتوصيات اللازمة.

جـ - الأمانة العامة، وهو الجهاز التنفيذي الذي يقوم بالإشراف المباشر على الأعمال والأنشطة التي تقوم بها الرابطة.

د - المجلس الأعلى العالمي للمساجد.

هـ - معهد إعداد الأئمة والخطباء.

و - مجلس المجمع الفقهي.

ز - هيئة الإغاثة الإسلامية.(1)

الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم :

تأسست هذه الجمعية الخيرية عام ١٣٨٢هـ على يد نخبة من أهل الخير، وكان صاحب الفضل الأول بعد الله، هو الشيخ محمد يوسف سَيتي الباكستاني - رحمه الله-.

وكانت أول دفعة من الحافظين لكامل القرآن سنة ١٣٨٦هـ وكان عددهم (١٨) حافظًا.

أول حلقة كانت بمسجد محمد بن لادن بالحفائر وكان عددها

(١) الدبلوماسية والمراسم الملكية لعبدالرحمن بن محمد الحمودي (١/ ٦٨٠).

قليلا جدًّا، أما الآن فقد وصل عدد طلابها إلى أكثرَ من عشرين ألفا، وبلغت حلقاتها المئات، وللجماعة في الحرم المكي الشريف أربعون حلقة.

ويتبع للجماعة معهد دار الأرقم بن أبي الأرقم، ويدخله الطالب بعد حفظ القرآن كاملاً، فيدرس به سنتين لإتقان القرآن وتجويده.

وفي المعهد حلقة خاصة بتدريس القراءات، يدخل بها الطالب بعد المعهد، ويدرس ثلاث سنوات يتعلم فيها القراءاتِ وعلوم القرآن.

وفي المعهد خمس حلقات خاصة بالأقليات الإسلامية بأنحاء المعمورة، وهناك أربع عشرة حلقة خاصة بإعداد معلمي القرآن للمعهد.

والجماعة كانت تحت إشراف جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وعندما أنشئت وزارة الأوقاف انضمت إليها[1].

جامعة أم القرى :

جامعة أم القرى إحدى جامعات المملكة ومكانها مكة المكرمة، وهي جامعة عريقة كانت أول بذرة لها كلية الشريعة، وذلك في عام ١٣٦٩هـ، وفي عام ١٣٩١هـ ضَمت كلية الشريعة مع غيرها

---

(١) راجع إبهاج الحاج للشيخ ناصر بن مسفر الزهراني (ص ٢٠٥).

من الكليات التي تتبعها إلى جامعة الملك عبدالعزيز بجدة.

وفي عام ١٤٠٠هـ صدر الأمر الملكي بإنشاء جامعة أم القرى بمكة المكرمة، وهناك مدينة جامعية ضخمة تابعة للجامعة.

وتضم الجامعة عددا من الكليات ومعهدًا لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، ومن كليات الجامعة.

١ - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.

٢- كلية الدعوة وأصول الدين.

٣- كلية التربية.

٤- كلية اللغة العربية وآدابها.

٥- كلية العلوم التطبيقية.

٦- كلية العلوم الاجتماعية.

٧- كلية العلوم الهندسية.

وللجامعة كلية للتربية تتبع لها في مدينة الطائف. هذا، وتمنح الجامعة أيضا درجتي الماجستير والدكتوراه، وقد تخرج في هذه الجامعة أعداد كثيرة، وانتشروا في أنحاء العالم، ينشرون العلم والعقيدة الصحيحة، ويحاربون البدع والضلالات. وستظل هذه الجامعة إن شاء الله صرحا شامخا ومنارة عالية من

منارات الإسلام[1].

دار الحديث المكية:

هي من المدارس التي لها جهد طيب وعمل مبارك في خدمة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وقد أفاد منها أعدادٌ هائلة من الطلبة من شتى أنحاء العالم الإسلامي.

وقد أنشئت عام (١٣٥٢هـ) كمدرسة أهلية، ثم ضمت إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، لتكون تحت إشرافها وذلك عام (١٣٩١هـ).

وهي تتكون من مرحلتين.

الأولى: مرحلة متوسطة يعطى الطالب بعدها شهادة الكفاءة، ومدتها ثلاث سنوات.

الثانية: المرحلة الثانوية، ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات.[2]

مدرسة دار الحديث الخيرية:

هي مدرسة خيرية، تأسست بموافقة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود - رحمه الله - في عام ١٣٥٢هـ وما تزال منذ ذلك الوقت تواصل عطاءها في خدمة الكتاب والسنة، ويشرف عليها مجلس أعلى برئاسة سماحة المفتي العام للمملكة

(١) على طريق المستقبل - التعليم العالي وزارة الإعلام. وإبهاج الحاج للشيخ ناصر بن مسفر الزهراني (ص ٢٠٩). (٢) إبهاج الحاج للشيخ ناصر بن مسفر الزهراني (ص ٢١٣).

العربية السعودية.

وتتكون الدار من أربع مراحلَ دراسية وهي:

١- مدرسة دار الفائزين الابتدائية لتحفيظ القرآن الكريم، ومدة الدراسة فيها ست سنوات، وتشرف على هذه المرحلة وزارة المعارف من الناحية التعليمية فقط. أما الناحية المالية والإدارية فهي تابعة لدار الحديث الخيرية وقد تأسست عام ١٣٠٤هـ.

٢ - المرحلة المتوسطة ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات.

٣ - المرحلة الثانوية ومدة الدراسة بها أربع سنوات.

٤- مرحلة القسم العالي: ومدة الدراسة بها أربع سنوات، هذا ويعطى الطالب إعانة مالية شهرية مع بعض الإعانات الأخرى.

وتسير الدراسة بالدار بالنظام الفصلي الدراسي، حسب خطة التعليم العام بالمملكة.[١]

وقُصد أن تكون هذه الدار مركز شعاع لتصحيح العقائد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى تكون معينة لإعادة صفاء الإسلام، ونقاوته من الأمور المحدثة.

هذا ويدرس بالمدرسة أبناء أكثر من أربعين جنسية في العالم الإسلامي وغيرهم، ويبلغ طلابها أكثر من ألف ومائة طالب.[٢]

(١) راجع إبهاج الحاج للشيخ ناصر بن مسفر الزهراني (ص ٢١٤).

(٢) السلفيون في الهند والملك عبدالعزيز للشويعر.

أشهر المكتبات بمكة المكرمة

١- مكتبة الحرم المكي:

وهي مكتبة عريقة، تستمد أهميتها من أهمية الحرم الشريف.

تضم أمهات الكتب الإسلامية الخالدة، والمخطوطات النادرة، تفتح أبوابها صباحا ومساء لينهل منها طلبة العلم، ويأخذ من ذخائرها العلماء، وتقع هذه المكتبة قرب الحرم المكي الشريف.

٢- المكتبة العامة - التابعة لإدارة التعليم:

وهي مكتبة ضخمة، تحظى باهتمام إدارة التعليم، تذخر بعدد هائل من الكتب التي يجد فيها طالب العلم ما يريد، وهي تقع في حي الزاهر بمكة.

٣- مكتبة جامع الفرقان:

تضم بين دفتيها عددا كبيرا من الكتب الدينية والثقافية، وتقع في حي العوالي، يقول عنها الشيخ ناصر بن مسفر الزهراني:

أحبَّها طلاب العلم وشجعها العلماء، وتسابق في دعمها الأهالي، منارة لأهل السنة فليس فيها كتاب لمبتدع أو مُخرف أو مغالي.

٤- مكتبة جامعة أم القرى:

وهي مكتبة الجامعة، تحوي آلاف الكتب القيمة المفيدة، وهي مكتبة عظيمة جامعة.

٥ - مكتبة مكة:

فيها نوادر المخطوطات ، وروائع المؤلفات وبدائع المصنفات، ورغم حجمها الصغير فإن ما تضمه من كتب ومخطوطات، يحوي فائدة كبيرة، ويخدم طالبي العلم خدمات جليلة، وتقع مكتبة مكة بالقرب من الحرم. [1]

بعض المناطق الأثرية الأخرى في مكة المكرمة

يوجد بمكة عدد كبير من المباني الأثرية، ومن ضمن ذلك عدد كبير من المساجد التي ذكرنا بعضها عند حديثنا عن مساجد مكة، كما تتمتع مكة - نظرًا لأهميتها التاريخية - بوجود عدد كبير من القصور والبيوت المعمارية القديمة، وقد أزيل بعضها للأسف، لضرورات التنمية الحديثة والتوسع الحضري. إلا أنه قد حوفظ على بعض من أكثر الأبنية عراقةً مثل قلعة أجياد (وهي الآن متحف إسلامي).

(٢) إبهاج الحاج، ودور المملكة العربية السعودية في خدمة الإسلام.

ومن بين البيوت ذات الأهمية التاريخية في مكة بيت أبي سفيان، وبيت السيدة خديجة، وبيت عبدالله بن عبدالمطلب، وبيت علي بن أبي طالب.[1]

(١) السياحة في المملكة العربية السعودية - للدكتور سلطان أحمد الثقفي (ص ١٦١).

http://mostafamas.maktoobblog.com

قائمة المصادر والمراجع

١- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام - تقي الدين الفاسي.
٢- أخبار مكة - محمد بن إسحاق الفاكهي.
٣- أخبار مكة أبو الوليد الأرزقي
٤- منائح الكرم - علي بن تاج الدين السنجاري.
٥- معجم البلدان - ياقوت الحموي.
٦- مثير الغرام الساكن - ابن الجوزي.
٧- تاريخ مكة - أحمد السباعي.
٨- تاريخ مكة - أبو الوليد الأزرقي.
٩- تاريخ الكعبة - د. علي حسين الخربوطلي.
١٠- مصنع كسوة الكعبة - الرئاسة العامة لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي.
١١- تفسير ابن كثير.
١٢- البداية والنهاية - ابن كثير.
١٣- الحج - د. عبدالله بن محمد الطيار.
١٤- الحج والعمرة والزيارة - الشيخ عبدالعزيز ابن باز - رحمه الله -.
١٥- صحيح البخاري.
١٦- فتح الباري - ابن حجر العسقلاني.
١٧- صحيح مسلم.

على سنة الحبيب http://mostafamas.maktoobblog.com للمزيد من الكتب

http://mostafamas.maktoobblog.com

١٨- سنن أبي داود
١٩- سنن النسائي.
٢٠- جامع الترمذي.
٢١- سنن ابن ماجه.
٢٢- مسند الإمام أحمد.
٢٣- سنن البيهقي.
٢٤- شعب الإيمان - البيهقي.
٢٥- سنن الدار قطني.
٢٦- موطأ الإمام مالك.
٢٧- مجمع الزوائد - الهيثمي.
٢٨- جامع البيان - ابن جرير الطبري.
٢٩- هذا الحبيب يامحب - الجزائري.
٣٠-الروض الأنف - السهيلي.
٣١- لسان العرب - ابن منظور.
٣٢- السيرة النبوية - ابن هشام.
٣٣- المستدرك - الحاكم النيسابوري.
٣٤- تاريخ ابن خلدون.
٣٥- تاريخ الطبري.
٣٦- الكامل - ابن الأثير.
٣٧- أطلس المملكة العربية السعودية - مكتبة العبيكان.
٣٨- تاريخ عمارة المسجد الحرام - حسين عبدالله باسلامة.
٣٩- تهذيب الأسماء واللغات - النووي.
٤٠- الدرر - ابن عبدالبر.
٤١- مختصر سيرة الرسول (ﷺ) - محمد بن عبدالوهاب.

على سنة الحبيب http://mostafamas.maktoobblog.com للمزيد من الكتب

http://mostafamas.maktoobblog.com

٤٢- الفصول في سيرة الرسول - ابن كثير.
٤٣- خاتم النبيين - محمد أبو زهرة.
٤٤- تاريخ أبي الفداء.
٤٥- حياة الصحابة - الكاندهلوي.
٤٦- سير أعلام النبلاء - الذهبي.
٤٧- تاريخ الإسلام - الذهبي.
٤٨- الكشاف - الزمخشري.
٤٩- مجمع البحرين - الهيثمي.
٥٠- رحمة للعالمين - المنصورفوري.
٥١- الفقه على المذاهب الأربعة - عبدالرحمن الجزيري.
٥٢-بداية المجتهد - ابن رشد.
٥٣- الملخص الفقهي - الدكتور صالح الفوزان.
٥٤- زاد المعاد - ابن القيم.
٥٥- مرشد المعتمر والحاج والزائر - سعيد بن علي القحطاني.
٥٦- إبهاج الحاج - الشيخ ناصر بن مسفر الزهراني.
٥٧- الدليل الإرشادي للحاج - وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف.
٥٨- مجلة التضامن الإسلامي صفر ١٤١٤هـ.
٥٩- على طريق المستقبل - التعليم العالي - وزارة الإعلام.
٦٠- دور المملكة العربية السعودية في خدمة الإسلام.
٦١- السلفيون في الهند والملك عبدالعزيز - د/محمد بن سعد الشويعر.
٦٢-عام الكتاب الدولي ١٩٧٢م - وزارة المعارف.
٦٣- مجلة مكتبة الملك فهد - جمادى الآخرة ١٤١٧هـ.
٦٤- الدبلوماسية والمراسم السعودية - د/ عبدالرحمن الحمودي.
٦٥- السياحة في المملكة العربية السعودية - د/ سلطان أحمد الثقفي.

على سنة الحبيب http://mostafamas.maktoobblog.com للمزيد من الكتب

http://mostafamas.maktoobblog.com

الفهرس

كلمة الناشر ٦
أهمية مكة المكرمة ومكانتها الدينية ٨
تحريم مكة ١٠
حدود الحرم ١١
حرمة الحرم ١٤
أسماؤها ١٥
أفضلية مكة ١٦
المجاورة بمكة ١٩
وصف الكعبة المشرفة وتاريخ بنائها وعمارتها ٢٠
بناء الكعبة ٢١
بناء إبراهيم وإسماعيل الكعبة ٢٢
بناء قريش الكعبة ٢٤
النبي (ﷺ) يضع الحجر ٢٥
بناء ابن الزبير الكعبة ٢٦
وقعة أصحاب الفيل ٣٢
هدم الكعبة في آخر الزمان ٣٦
سدانة الكعبة ٣٨
كسوة الكعبة ٤٢
الكسوة قبل الإسلام ٤٢
كسوة الكعبة في الإسلام ٤٤
الكسوة في العهد السعودي ٤٦

على سنة الحبيب http://mostafamas.maktoobblog.com للمزيد من الكتب

http://mostafamas.maktoobblog.com

مقام إبراهيم وفضله ٤٨
الحجر ٥٠
فضل الحجر الأسود ٥٣
بئر زمزم ٥٥
اندثار زمزم ٥٧
عبدالمطلب يعيد حفر زمزم ٥٧
أسماؤها ٥٩
ماء زمزم وفضله ٦٠
زمزم شفاء ٦٢
وهي طعام ٦٣
قصص عن شفاء مرضى بماء زمزم ٦٤
الملتزم ٦٦
غزوة فتح مكة ٦٩
الجيوش تدخل مكة ٧١
بيعة الناس رسول الله (ﷺ) ٧٥
مدة إقامته بمكة وبعض ما قام به من الأمور المهمة ٧٥
منع المشركين من دخول المسجد الحرام ٧٧
عمارة المسجد الحرام عبر العصور ٧٩
عهد الخلفاء الراشدين ومن بعدهم ٧٩
زيادة عبدالله بن الزبير ٨٠
زيادة أبي جعفر المنصور ٨٠
زيادة المهدي ٨١
زيادة دار الندوة ٨٢
زيادة باب إبراهيم ٨٣
عمارة السلطان سليم ٨٤
توسعة المسجد الحرام في العهد السعودي ٨٥

على سنة الحبيب http://mostafamas.maktoobblog.com للمزيد من الكتب

http://mostafamas.maktoobblog.com

الشروع في التوسعة ٨٦
التوسعة الأولى عام (١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م) ٨٦
توسعة الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م) ٨٨
توحيد مصليات الحرم ٩٢
معالم مكة الأثرية ٩٤
جبل حراء ٩٤
جبل ثور ٩٦
مسجد الخيف وفضله ٩٧
منى ٩٩
عرفة ١٠٠
المزدلفة ١٠٢
المحسر ١٠٣
المحصب ١٠٣
مسجد التنعيم ١٠٤
مسجد الجعرانة ١٠٥
مسجد الجن ١٠٧
الحج ١٠٨
مواقيت الإحرام ١١٠
المواقيت المكانية ١١٠
واجبات الإحرام ١١٠
سنن الإحرام ١١١
حج الصغير ١١١
محظورات الإحرام ١١٢
المحظورات ثلاثة أقسام ١١٢
القسم الأول: يحرم على الذكور والإناث ١١٢
القسم الثاني: ما يحرم على الرجال ١١٢

للمزيد من الكتب http://mostafamas.maktoobblog.com على سنة الحبيب

http://mostafamas.maktoobblog.com

القسم الثالث: على الإناث دون الذكور ١١٢

مقدار الفدية ١١٣

ومن المحظورات ١١٣

جزاء الصيد ١١٣

وجوب الهدي على المتمتع والقارن ١١٤

فدية المحصر إن لم يجد الهدي ١١٤

فدية الجماع ١١٤

أركان الحج وواجباته ١١٥

أ - أركان الحج ١١٥

ب - واجبات الحج ١١٦

أركان العمرة وواجباتها ١١٩

أ - أركان العمرة ١١٩

ب - واجبات العمرة ١١٩

ما يفعله الحاج عند دخول مكة ١٢١

الصفا والمروة ومشروعية السعي بينهما ١٢٨

شروط السعي ١٢٨

سنن السعي ١٢٨

الخروج إلى منى ١٢٩

الخروج إلى عرفة ١٣٠

معنى الوقوف بعرفة ١٣٠

حكمه ١٣١

شروط الوقوف بعرفة ١٣٢

الانصراف إلى مزدلفة والمبيت بها ١٣٣

هل يسقط المبيت بمزدلفة ١٣٤

حكم المبيت بمزدلفة ١٣٤

الرجوع إلى منى ١٣٥

على سنة الحبيب http://mostafamas.maktoobblog.com للمزيد من الكتب

http://mostafamas.maktoobblog.com

التحلل الأول ١٣٦
طواف الإفاضة ١٣٦
السعي للمتمتع ١٣٦
وجوب الهدي على المتمتع والقارن ١٣٧
شروط الهدي ١٣٨
ترتيب مناسك يوم النحر ١٣٩
التحلل الأكبر ١٤٠
الرجوع إلى منى ١٤١
شروط رمي الجمار ١٤٢
ذكر بعض المؤسسات الخيرية والجامعات والمكتبات بمكة المكرمة ١٤٣
رابطة العالم الإسلامي ١٤٣
الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم ١٤٤
جامعة أم القرى ١٤٥
دار الحديث المكية ١٤٧
مدرسة دار الحديث الخيرية ١٤٧
أشهر المكتبات بمكة المكرمة ١٤٩
١ - مكتبة الحرم المكي ١٤٩
٢ - المكتبة العامة ١٤٩
٣ - مكتبة جامع الفرقان ١٤٩
٤ مكتبة جامعة أم القرى ١٥٠
٥ - مكتبة مكة ١٥٠
بعض المناطق الأثرية الأخرى في مكة المكرمة ١٥٠
قائمة المصادر والمراجع ١٥٢
الفهرس ١٥٥

على سنة الحبيب http://mostafamas.maktoobblog.com للمزيد من الكتب